15me Année No. 718

Lundi — 7 — 4 — 1947

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧١٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ٧ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# الجـــــلاءُ الأعظَم

للأستاذ محمود محمد شاكر

أكتب هذا وكُلّ ذرةٍ فى ثَرَى مصر وفى جَوّها وفى مائها تتلفّتُ حَوالَيها لتنظُر إلى الصفحة التى خفقت فى جنبات الأرض المصرية لليوم المشهود — يوم الجلاء عن مُدُنِ الوجهين القبلى والبحرى إلا ما استثنته بريطانيا غصباً وافتئاتاً.

نعم هو الجلاء — جلاء الجندى المتغطرس الذى كان يمشى على أديم مصر تيّاهاً مستكبراً متعالياً ليذلّ الشّعب الذى احتقره وازدراه على قوّته وعلى سلطانه، ولم يعبأ به ولا بثيابه ولا بكبريائه.

وكيف يفعل ذلك وهو الشعب الفقير الذى يسير فى الطريق حافياً فى أسمال؟ وكيف يفعل ذلك وهو الجاهلُ الذى لا يقرأ ولا يكتبُ ولا يعلمُ من أمر الدُّنيا إلاّ ما حضر بين يديه؟ وكيف يفعل ذلك وهو الشعب الذى هَزَمته بريطانيا فى موقعة التل الكبير سنة ١٨٨٢، ثم انساحت جيوشها فى أرضه تأخذُ ما تأخذ وتدعُ ما تدعُ وهو ساكنٌ قارٌّ راضٍ بالمذلّة التى كتبها الله عليه؟ هكذا كانَ يمشى كل جندى بريطانى على أرضِ مصر وهو يحدّث نفسه بهذا كله، والمصرىّ ينظر إليه نظرةً ليس فيها الحقدُ ولكن فيها الاحتقارُ، ويبتسمُ إليه ابتسامة ليس فيها الرضى ولكن فيها السخريةُ، ويصافحه مصافحةً ليس فيها الترحيب ولكن فيها الإيمان بأن الذى أمامُه إنسانٌ مغرورٌ يظنّ أن الدنيا باقيةٌ له، وهى الدنيا التى تداولتها من قبله القرون والأمم فزالوا وبادوا، ونالها من بعدهم من كانوا لهم تبعاً أوعبيداً.

هكذا كان ينظر الشعبُ الجاهل الفقير المهزوم بزعمهم نظرة الفيلسوف الذى قَنع بما عنده فاستغنى عما عند الناسِ، شعب فقيرٌ ولكنه عزيزٌ، شعب جاهل ولكنه مؤمنٌ، شعب مهزوم ولكنه مترفعٌ عن دنايا الأخلاقِ.

* * *

نعم هذا الجلاء، ولكن هل يقنع هذا الشعب به؟ وهل يزيله الفرحُ بما تمّ عن الهدَفِ الذى رَقى إليه؟ إنّ بريطانيا قد علمتْ أن لا قِبَل لها بإبقاء جنودها مفرقةً فى مُدُن مصر فتكون قذى فى العيون يحدث آلاماً تنبه النفوس يوماً بعد يوم إلى عُدوانها وبغيها، فآثرتْ أن تجمّل جنودها وتجمعهم فى مكانٍ بعيد عن عيون الشعب، تريدُ أن تجعل مثل هذا العبث مِنّةً يحملها الشعبُ المصرى، فيكفّ عن مطالبها وعن كشف عيوبها وسيئاتها وخَبيثها. فلما رأت أن هذا الشعب العجيب قد فرح بجلائها عن بعض أرضه، ولكنه لم يكفّ عن مطالبها، ولاعن إماطة اللثام عن رذائلها، قامت صُحُفها تزعم أن الصحف المصرية قد شنّت على بريطانيا « حملة سِبَاب » فى نفس المكان الذى أشارت فيه إلى مسألة الجلاء إشارة عابرة. وهذا دليلٌ على أن موقف الشعب قد غاظها غيظاً شديداً وأنها

كانت تؤمل أن تخدعنا بهذا الجلاء من أماكن فى أرض مصر إلى مكان واحد حصين فى أرض مصر أيضاً ، فلما كان غير الذى أرادت زعمت أنها « حملة سباب » .

ومن الذى يسبُّ ؟ أمصر المسكينة التى احتملت وقاحة جيوشها وقوّادها منذ سنة ١٨٨٢ ، وصفاقة رجالها الذين جاءوا ليحكموا هذا الشعب بالقوة والبطش من أمثال كروم وكتشنر واللنبى ولويد ومايلز لامبسن ؟ أهى مصر المسكينة التى تسب اليوم بريطانيا وقد سمعت سفاهة الصحافة البريطانية على شعبها وهو يوصف بالرعاع ، وسباب الصحف البريطانية للطلبة المصريين الذين كانوا يخرجون من مدارسهم للجهاد فى سبيل وطنهم وبلادهم

إن مصر حين تصف أعمال بريطانيا بالسفاهة والوقاحة والصفاقة — لاتسب بل تقرر حقائق وتسميها بأسمائها التى خلقت لها ، ولم تخرج فى ذلك عما وصفها الرجال المحايدون الذين وقفوا ينظرون إلى أعمال بريطانيا فى مصر والسودان . فالشعب المصرى لا يسب بريطانيا وإنما تسبُّها أفعالها وأفعالُ رجالها . وإذا أرادت بريطانيا أن لا تسمعَ المسبّة من الشعب المصرى ومن سواه فى أقطار الأرض ، فلتقلع عن سياستها التى توجب لها هذه الصفات ، والتى تدفع أمماً كثيرة غير مصر والسودان إلى أن تصفها بأشد مما وصفتها به مصر والسودان .

والعداوة التى بيننا وبين بريطانيا قائمة ما بقى فى أرض مصر من منبع النيل إلى مصبه جندى بريطانى واحد ، ولن نكفّ عن عداوتها وعن ذكر سيئاتها إلا إذا جلت جلاء تاماً عن كل مكان انتزعته من بلاد مصر والسودان بالكذب والمكر والخديعة والتدليس ، ولن تكفّ ألسنة مصر عن وصف أعمال بريطانيا بأسمائها التى خلقت لها إلا إذا كفّت هى عن عدوانها وأعطت كل ذى حق حقه . إنها عداوة باقيةٌ بيننا وبينها حتى تدعَ لنا أرضنا ، وتدع للعراق أرضه ، وتدعَ لفلسطين العربية أرضها ، وتقاوم معنا كل باغٍ أعانته هى فيما مضى على بغيه وعدوانه ، كالذى كان من أمرها فى مسألة تونس ومراكش والجزائر وليبية وبلاد إفريقية التى أطلقت فيها يدَ فرنسا وإيطاليا ليطلقوا لها يدَها فى مصر وفى سوى مصر .

بل إن جلاء الجنود البريطانية لن يكفى وحده أن يكون مدعاة لنسيان تاريخ بريطانيا وأفعالها . لقد دخلت بريطانيا بلادنا وبلاد سوانا ، فاستعانت بشذاذ الأمم الذى لا يجدون فى بلادهم ما يأكلون ، وجاءت بهم إلى مصر والسودان وكل أرض كتب الله عليها أن تبتلى ببريطانيا وسياستها الاستعمارية ، وحمت هؤلاء الشذاذ وشدت أزرهم وملكتهم الأموال والأرزاق ، ونفخت فى قلوبهم كبرياء الحقير الذى علا بعد ضعة ، ومدت لهم مداً طويلا حتى صاروا سادة علينا وهم يأخذون ما فى أيدينا — أى يسرقون ما فى أيدينا . أتت بالشذاذ من كل أمة وجعلتهم جاليات وأقليات وفرضت على نفسها حمايتهم فيما تزعم ، واستنكفت لهم أن يتقاضوا فى محاكم البلاد التى آوتهم بعد تشرد ، وميزتهم عن أبناء البلاد فى كل شىء حتى فى معاملاتها التجارية . حتى صارت لهم قوة المال وفجور المال وطغيان المال ، فعاثوا فى الأرض فساداً ، يفسدون بيوتنا ، ويتعالَوْن عنا ، ويحتقرون أبناءنا ورجالنا ، ويسخرون من آدابنا وعقائدنا . ويطعنون فى أخلاقنا ، ويشتموننا فى الطرقات وهم فى حمى بريطانيا ذات المجد والشرف ! !

وأكبر من ذلك أنها حمَت هؤلاء الشذاذ حماية أخرى ليكونوا لها جنوداً فى ثياب مدنية ، فأقطعتهم المدارس ينشئونها حيث يشاؤون ، وجاءت بدنلوب ليضرب التعليم المصرى ضربات قاضية لا تزال إلى اليوم باقية لا تدرى وزارة المعارف كيف تخلص منها . وإذا هذه المدارس تأخذ أبناءنا من بيوتنا ، فتضمهم بين جدرانها ، وتنفث فيهم سمّها ، وتحقّر لهؤلاء الصغار بلادهم وأهلهم ، وتمتهن لغتهم حتى كانت تمنع طلبتها عن أن يتكلموا بالعربية بتة ، ولا فى أوقات الفسحة ما بين الدروس ، فإذ فعل ذلك طفل منهم عوقب أشد العقاب ، وداروا به على الفصول كأنه مجرم قد ارتكب أشنع جريمة يعاقب عليها القانون . وبقيت بريطانيا الممثلة فى دنلوب ونظام دنلوب ورجال دنلوب تحمى هذا الوباء وهذا البلاء حتى استفحل ، وخرج جيل من أبناء مصر نفسها ينظر إلى بلاده كأنها أرض غريبة يحتقرها كما رأى أستاذه الأجنبى يحتقرها ، وكما رأى زميله الأجنبى يزدريها .

وأكبر من ذلك أيضاً أنها أخذت هؤلاء المساكين الذين أضلّتهم مدارسهم الأجنبية فآوتهم ونصرتهم ثم مكّنت لهم ، وصاروا لها أشياعاً يثنون عليها ويفضلونها على سائر أهل الأرض، وعلى أهل بلادهم . واتخذوا لذلك كل أسلوب يدل اتخاذه على أن بريطانيا لا تتورع عن أن تجمل أخسّ الطبائع البشرية

والشهوات الإنسانية سلاحاً تقاتل به الشعب الذى اعتدت عليه واستبدت به . فصار الشعب المصرى يسمع مصرياً مثله يبسط لسانه فى تاريخ شعبه وفى أخلاق شعبه غافلا عن السبب الأول الذى كان داعياً إلى انهيار هذا الشعب ، ألا وهو بريطانيا وشذاذها .

فكل هذا وكثير سواه كان احتلالا أدبياً ضرب على مصر والسودان كما ضرب عليها الاحتلال العسكرى ، فنحن لن نكتفى بأن يزول الاحتلال العسكرى بجلاء الجنود ؛ بل لابد من إجلاء ما ورثناه الاحتلال العسكرى من نظم ومن شيع ومن عادات ومن أخلاق ؛ حتى لا يكون المصرى والسودانى غريباً فى بلاده ، ممتهناً فى أرضه ، مضروباً بالفقر والجهل والهزيمة فى دياره .

ذلك هو يوم الجلاء الأعظم : يوم يعود إلينا أخونا المصرى السودانى المقيم فى بريطانيا « يعقوب عثمان » ليقول لبلاده إنى أخطأت فاغفرى لى زلتى وتجاوزى عن خطيئتى ، ويوم يخلع الشباب المصرى السودانى من فتيان وفتيات كل الزينة التى أضفتها عليهم مدارس الليسيه الفرنسية ، وفكتوريا الانجليزية ، والمدارس الأمريكية ، ويخرجوا إلى أهليهم خاشعين خاشين نادمين يعتذرون من الآثام التى ألموا بها أو قارفوها فى حق بلادهم وفى حق آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم وأسلافهم وأعقابهم .

بل يوم يخرج المهدى عن أمواله لمصر والسودان ، ويعفر وجهه فى ثرى النيل الأعظم ، ويستغفر الله مما كسب من الإثم فى حق مصر والسودان ، أرض آبائه وأجداده ؛ بل فى حق أبيه الذى لم تتورع بريطانيا عن إهانة عظامه وهو ميت لا يملك دفعاً عن نفسه .

إنه يوم الجلاء الأعظم — يوم يقف كل مصرى سودانى أيامه وساعاته للتكفير عما فرط منه ، ويوم يعمل جاهداً فى إزالة كل أثر للاحتلال فى نفسه ، ويوم يخرج إلى الطريق ليميط الأذى عنه استعداداً لمقدم الأجيال الحرة التى ترث أرضاً طاهرة لم تلوثها غفلة القرون الماضية أو ضعفها أو استكانتها أو رضاها بالذل والمهانة طمعاً فى مال زائل ومجد حائل .

إنه يوم الجلاء الأعظم ، يوم لايسمع ترى مصر لساناً أعجمياً من أهله أو من غيرأهله ينطق بغيراللغة التى ينطقها الشعب المصرى السودانى ، ويوم لا يخرج المصرى السودانى فتتحداه تلك الطوائف من شذاذ الأمم ناطقة بغير لسانه وساخرة من لسانه .

إنه يوم الجلاء الأعظم ، يوم يستطيع المصرى السودانى أن يقف على ثرى أرضه مطمئناً لأنه حر من أحرار ، وينظر حوله متلفتاً يمنة ويسرة فلا يرى إلا وجوهاً عربية وبلاداً عربية تضم الأحرار أبناء الأحرار .

**محمود محمد شاكر**

---

## وزارة المعارف العمومية

**المراقبة العامة للثقافة — أعلان**

تعلن وزارة المعارف عن حاجة حكومة السودان إلى مدرى تعليم ومحرر للفنون ، ويشترط فى راغبى اللحاق أن يكونوا من الحاصلين على درجات جامعية مع مرتبة الشرف وشهادات فى التربية والتعليم . ويحسن أن يكونوا ممن مارسوا التدريس بضع سنوات وأن يكونوا ممن يحسنون التحدث باللغة الإنجليزية والكتابة بها : وأن تكون سنهم فوق ٢٥ سنة ، ويحسن ألا تزيد على ٣٣ سنة . ويجوز النظر فى طلبات من تزيد سنهم على ذلك

وسيعهد إلى من يقع عليهم الاختيار فى الاشراف على تدريس الرياضيات والتربية البدنية والفنون وتمرين المعلمين الوطنيين على تدريسها والتفتيش على تدريسها فى المدارس الأولية والمدارس الثانوية المحلية .

وسيكون التعيين تحت قانون مال التأمين أو بموجب عقد قصير الأجل أو بالانتداب من الحكومة المصرية.. ومرتب الدرجة للذين يعينون عن طريق الانتداب من الحكومة المصرية يتراوح بين ٤٨٠ ، ١٠٨٠ جنيها سنويا . أما فى حالة الخدمة بموجب مال التأمين فيزيد على ذلك بمقدار ٢٥٪ . ويمكن اعطاء مرتب أعلى من الرتب الأدنى للدرجة إذا كانت سن الطالب ومؤهلاته وخبرته تبرر ذلك .

ويمكن الحصول على البيانات واستمارات الاستخدام ( التى تملأ بالانجليزية ) من وكالة حكومة السودان رقم ٦ ميدان توفيق بالقاهرة . وترسل إليها الطلبات لغاية يوم ٢١ إبريل سنة ١٩٤٧ . ويمكن الرجوع إلى المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى ذلك . ٧٠٢٥

من صفحات مطوية :

# أنطاكية وخليج الاسكندرونة
## فى الحرب العظمى الأولى

للأستاذ أحمد رمزى بك

ينعم المرء بمناظر رائعة إذا كان على ظهر باخرة تسير على مقربة من الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ، إذ تظهر جبال لبنان والعلويين أمام ناظريه وتحتها المرافئ متقاربة متشابهة ؛ فإذا جن الليل تبدو أنوار القرى المتناثرة على سفوح الجبال وهى تتلألأ فى الظلام . إنه منظر يوحى لراكب البحر فى ظلمات الليل البهيم شعور الأمن والاطمئنان ، فتزول من نفسه مخاوف البحر ومخاطره . فإن وصلت إلى خليج الإسكندرونة وجدت البحر يغزو الأرض ويبدو هذا الجزء منه كأنه بحيرة تحيط بها الجبال من ثلاث جهات ، ووراءها قمم عالية شامخة كأنها تناطح السماء : هذه جبال اللكام عند العرب وأمانوس عند الفرنجة وطوروس وجبال الكفرة ، كاورطاغى ، عند الأتراك .

ولقد كنت مسافراً مرة فى أواسط الأناضول فبلغت مدينة قيصرية، وهى التى فتحها ملكنا الظاهر بيبرس ، وركبت القطار منها إلى الشام ، فوقف بنا عند مخرج نفق على جبال طوروس ، وكان على رأسه محطة أشاروا علىّ بالنزول فيها لآخذ منها القطار السريع . من هذه الرابية العالية رأيت البحر ممتداً من بعيد ، وكشفت سهول ولاية أضنة أو كيليكية ، كما تبدو للناظر إليها من نافذة طائرة محلقة فى السماء : قلت هذا هو أول ما تقع عليه أنظار كتائب الزاحفين من الشمال ، وهذا ما رأته جنود الصائفة والحمدانيين وعسكر مصر أيام ابن طولون وبيبرس وقلاوون فى عودتهم من حروب أرض الروم ، بل قل هذا أول مناظر الحياة التى اتمها الصليبيون فى زحفهم على سوريا بعد أيام الويل والحرمان التى ذاقوها فى أرباض آسيا الصغرى .

فإذا انحدرت من مضايق الجبال ودخلت السهل واتجهت إلى الساحل كان أول ما يلفت النظر هذه البحيرة التى تكوّن خليج الاسكندرونة ، لو رآها رجل البحر لقال عنها هذى أكبر مرافئ الشرق ، وتصورها الموئل الطبيعى لمئات السفن ، ولو نظر إليها رجل البر لقال هذا مركز من المراكز الممتازة فى العالم . فهنا التصق الخليج بالأرض وكونا فى التاريخ قطعة واحدة وأصبح لها قصة واحدة : هى قصة تلك البقاع من الدنيا التى لها ذنب واحد هو ما حبتها به الطبيعة وجغرافية الأرض من مزايا .

هذى البقاع ليست كثيرة على الأرض ولكنها خلقت لتكون مسرحا للمشاكل والمعارك والتصادم وتتابع الحوادث والخطوب . إن مثلها كمثل بعض الناس ممن يأتى إلى الدنيا ليثير ضجة بين الخلق من يوم مولده إلى يوم وفاته كأنهم جاءوا إلى الدنيا تحت طالع من طوالع الضجيج أو سوء الحظ ، كذلك هذه الرقعة من الماء والأرض والجبال ، أراها قد برزت للوجود تحت برج خاص من بروج السماء ، فحكمت عليها الأقدار أن تكون فريسة للطامعين من ذوى الغلبة والسلطان ، وموطناً للحروب والقتال ، وأن يكتب على أهلها تحمل مصائب الدهر من ضيق الحصار ونقص فى الأموال والأنفس ، وتحمل غضب الطبيعة فيما تثيره من أوبئة وزلازل ، وأن يكتب فى سجل القدر لهذه البقعة من الأرض فيقترن اسمها بالعز آناً وتعلو علواً كبيراً حتى تسمو على غيرها من بقاع الأرض ، ثم يلاحقها سوء الطالع فترى الأيام السود وتذوق الويل المرة بعد المرة حينما يطؤها الفاتحون والغزاة ، فتندك صروحها وتفنى بشاشة أهلها وتبكى نساؤها بكاء طويلا فى الليل كما يتحدث بذلك تاريخها فى أكثر من عشرين قرنا من الزمن ؟

وغريب أمر هذه البقعة : تقوم عليها المدنيات المختلفة وتتبادلها الشعوب ، وينطق أهلها بكل لسان ويفنى شعب بعد شعب على أرضها ولكنها تخرج من وسط النكبات والمصائب وهى باقية لن تبيد ، لأن الحياة لا تلبث أن تعود إليها . ولا تزال إلى اليوم إنطاكية وما حولها : ترى أسوارها القديمة وتلمس عظمتها الفانية . تراها صغيرة بجانب ما كانت عليه ، ومع هذا تشعرك بماضيها ومجدها ، وقد يدخل المرء مستهيناً بها فيخرج منها

وهو حامل فى نفسه ما يدعو لا كبارها ، إن فيها سراً يجبر الناس على احترامها .

* * *

نعم لقد قدر لهذه البقعة من الأرض أن تبرز خلال العصور الماضية وأن يتحدث عنها الناس من أهل الشرق والغرب ، وسنبذل بعض الجهد لنأتى بشىء من ذكرها فى كل عصر من العصور السالفة وخصوصاً ذلك العصر المملوء بالبطولة والكفاح : عصر الحروب الصليبية ، ونذكر ما حولها من حصون الافرنج وما أقيم أمامها من حصون المسلمين وقلاعهم والكتابة فى هذه الناحية من أحب الأشياء إلى من يؤمن بعظمة ماضينا ، ولكن هناك ناحية لاتزال خافية عن قراء العربية هى أهمية هذا الركن من العالم فى الحرب العظمى الأولى ، فقد بقيت منطقة أنطاكية وخليج الإسكندرونة بعيدة عن ميادين القتال ولم تغمرها الحوادث ولذلك لم يشهر اسمها ولم يعلم الناس عنها إلا لما أثيرت مسألتها أمام عصبة الأمم وأخذت تتطور مشكلتها بين فرنسا وتركيا ثم أخيراً بين سوريا وتركيا .

ولهذه المنطقة تاريخ طويل فى مدة هذه الحرب وما تلاها من الحوادث ، سنعرضه ملخصا ما أمكن راجعين من النهاية إلى البداية :

حينما قامت الحركة التركية وحصلت حكومة أنقرة على الانتصارات الأولى على اليونان . أرسلت وفداً إلى باريس فى يولية سنة ١٩٢١ أخذ يفاوض الفرنسيين فى عدة مسائل ، وفى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٢١ عقد اتفاق أنقرة الأول وفيه سلمت فرنسا بالحدود التركية التى تبدأ من بياس إلى ميدان اكبس ثم تستمر على شريط سكة حديد بغداد ، وكان من ضمن ما اتفق عليه إقامة نظام إدارى خاص بسنجق الإسكندرونة واعتبار اللغة التركية لغة رسمية فيه .

جاء هذا الاتفاق عقب حرب بين الفرنسيين والأتراك دامت من يناير ١٩٢٠ إلى ١٩٢١ قال عنها الفرنسيون فى كتابهم عن تاريخ الشرق ما يأتى : « إنها حرب مقدسة وقومية اتسمت بالقسوة والعنف اللذين يتصف بهما أهل تلك البلاد وأنها وافقت زمن غليان الحركة الكمالية التى استنفرت الأناضوليين فى وجه مشروع يشعر بتفكيك الوطن التركى »

ويتعجب صديقنا الأستاذ ادموند رباط فى كتابه بالفرنسية عن الوحدة السورية ويتساءل « كيف سلم الفرنسيون بعد معاركهم الطاحنة فى كيليكية وخسائرهم فيها بهذه الحدود ؟ ويقول إن فى ذلك سراً سيبقى أمام مؤرخى المستقبل من المعميات التى يجدون الصعاب لفهمها » .

أما نحن فلا نعجب وقد عرفنا النزاع والتنافس بين بريطانيا وفرنسا ، وإنما نتساءل ونقول للكاتب الفرنسى الذى ذكرنا نظريته فى المقالة الأولى : من كان يمثل دور الإمبراطورية الرومانية فى عام ١٩٢١ . بريطانيا أم فرنسا ؟

إن مثل هذه الأمور تأخذ وقتا طويلا لكى نكتشف تفاصيلها وما يلابسها من المعميات ، وقد يطرأ حادث طفيف يتمثل فى طلب احتلال الإسكندرونة وخليجها فينتج عنه أكبر الأمور ويعيد إلى ذكريات السياسيين مسائل ومشاكل بقيت لمدة طويلة طى الكتمان .

وهذا ما حدث فى عام ١٩١٨ ففى أكتوبر سلمت الدولة العثمانية وأمضت هدنة مدروس ، وكانت الجيوش التركية تحتل منطقة أنطاكية وتشرف على خليج الاسكندرونة وبقيت فى حوزتها بعد إمضاء هذه الهدنة ، ولما كانت شروطها تحتم إجلاء الجنود والضباط والقواد الألمان فقد تقرر سفر الجنرال فون ساندرس ومن معه ، وعليه تسلم القائد مصطفى كمال القيادة ، وقد فهم أمرين : الأول أن الهدنة عقد لوقف القتال بين المتحاربين وأن الأراضى التى فى حوزة الأتراك تبقى معهم لحين إمضاء معاهدة الصلح ، والثانى : أن خط الحدود لوطنه هو الذى أثبته الأتراك بقوة السلاح فى آخر معركة دارت مع الانجليز والهنود فى شمالى مدينة حلب عند انسحابهم منها وترتب على هذه المعركة إيقاف الزحف البريطانى على نقطة تبعد ثلاثين كيلو متراً من المدينة[2] .

ويقرر فى مذكراته ومخابرته الرسمية أن هذا الخط من صنع يديه ، ولذلك تمسك به حتى النهاية فى مفاوضاته مع الفرنسيين ، ولم يكتف بذلك بل عارض قبل ذلك الحكومة المركزية حينما

(١) من أغرب تحكم الاقدار أن الأرض التى دارت عليها هذه الناوشة هى التى دارت عليها معركة ١٥١٧ بين المصريين والأتراك والتى فقدت فيها مصر ملك الشام ثم أصبحت ولاية عثمانية بعد ذلك ، ثم تبدأ فيها مقاومة الأتراك بعد هزائمهم لينتهوا إلى حركة التحرير التى أتموها تحت قيادة زعيمهم .

طلب الانجليز السماح لهم باستعمال خليج الاسكندرونة والميناء لتموين جيوشهم المحتلة لمدينة حلب ، وتبادل مع رئيس الوزارة مكاتبات فى منتهى الخطورة ، وكانت هذه الفترة موجهة له فى حياته المقبلة لأنه من تلك اللحظة بدأ يفكر فى تأليف جيش من شراذم الوحدات التى تحت قيادته ، حينما أقنعته الحوادث بأن إنقاذ البلاد يحتم مداومة القتال إلى النهاية .

فالطالبة بتسليم ميناء الاسكندرونة كان معناه احتلال المنطقة ، وقد أثار هذا الطلب مخاوف الفرنسيين لمـا سيرد بعد ذلك من تفاصيل فى هـذا البحث ، وأثار قلق القائد التركى الذى فسر احتلال هذه المنطقة كرغبة فى احتلال غيرها من الأراضى وأن هذا الطلب يهدم الشروط المتفق عليها . فلما طلبت منه الحكومة إجابة هذا الطلب أجابها بصراحة :

« أنا لا أتزحزح عن عقيدتى بوجوب تعيين وتحديد التضحية التى يمكن أن تبذلها الدولة بعد هزيمتها » ، وكتب إلى رئيس الوزارة « إن الانقياد إلى البريطانيين فى طلباتهم قبل إزالة ما فى نصوص المعاهدة من إبهام ولبس لا يبقى هناك وسيلة للوقوف أمام أطماعهم » .

كان الفرنسيون على علم بنيات البريطانيين وهم حلفاؤهم طول مدة الحرب ، وكان الأتراك على علم بما يدور حولهم وما يمكن أن يسببه لهم التساهل والإغضاء عن حقوقهم ، والآن وقد نشرت أغلب وثائق الحرب العظمى الأولى ، أصبح من السهل تتبع المركز الخطير الذى لعبته منطقة أنطاكية وخليج الاسكندرونة فى استراتجية الحرب بين السنوات ١٩١٤ و ١٩١٨ .

وسوف نبدأ من الناحية التركية ثم ننتقل إلى وجهة النظر البريطانية : ففى سنة ١٩١٦ تألفت مجموعة من الفرق أطلق عليها اسم مجموعة الصاعقة « يلدريم » وكانت حلب مركزاً لها وتولى قيادتها الماريشال فون فالكنهاين ومعه نخبة من رجال الجيش والبحرية والطيران ، ومن الاطلاع على التاريخ الرسمى الذى نشرته وزارة الحربية التركية فى نشراتها عن تاريخ الحرب ؛ يتبين أن القصـد من تأليف هذه القوة هو السيطرة على ميادين القتال فى فلسطين والعراق ثم حماية منطقة أنطاكية وخليج الاسكندرونة ضد أى هجوم يشنه الحلفاء ويكون القصد منه قطع المواصلات العسكرية وعمليات تموين الجيوش فى أهم نقطة حساسة فى أراضى الامبراطورية العثمانية[1] .

(١) « يلدريم » أركان حربية عمومية تاريخ حرب نعرياتى .

ويؤكد هذا ما كتبه هندنبرج : « لو وفق الانجليز إلى إنزال جنودهم فى خليج الاسكندرونة لفقدت تركيا الحرب نهائياً أو اضطرت إلى الاحتماء فى جبال طوروس » ، وكان قد شبه فى مذكراته هذه المنطقة بالشريان الحيوى لتموين الجيوش التى تقاتل فى العراق وسوريا وفلسطين وقال : « إن مدافع السواحل لم يكن لها وجود » .

وأشار إلى ما قاله أنور باشا « من أن أمله الوحيد هو ألا يلمس العدو حالة الضعف التى عليها خليج الاسكندرونة » .

ولذلك ختم حديثه بقوله « إن قيام الدولة العثمانية أو استمرار الحرب كان مرتبطاً بمصير هذه البقعة ، وإن الضربات التى لقيتها بسقوط بغداد وتحطيم جبهة فلسطين جعل تجمع جيوش الصاعقة ضرورياً ، وألزم منه إسناد قيادة هذه المجموعة إلى قائد ألمانى معروف وهذا ما جعله يوافق على هذا التعيين » . ومن اطلاعك على ذلك يتضح ما مر بمخيلة مصطفى كمال حينما تمسك بشروط الهدنة ولمس فى الإخلال بها رغبة جديدة لاتخاذ سياسة أشد عداء لبلاده ، وقد كان محقاً فى ذلك لأن نيات البريطانيين من ناحية خليج الاسكندرونة لم تكن خافية طول مدة الحرب كما قلنا ؛ فقد ذكرت المؤلفات الرسمية لوزارة الحربية البريطانية عن تاريخ الحرب العظمى[1] ما دار من نقاش بين اللورد كتشنر والجنرال مكسويل فى نوفمبر سنة ١٩١٤ بخصوص إنزال حملة بريطانية على خليج الاسكندرونة وتوجيه ضربة قاصمة إلى منطقة أنطاكية ونهاية الخطوط الحديدية فى جبال طوروس حتى يمكن تحطيم مواصلات الامبراطورية العثمانية .

وقد تبين من هذه المحادثات أن احتلال هذه المنطقة قد درسته القيادة البريطانية درساً وافياً ، وكان القصد من إنزال الجنود هو حماية مصر أو منع الحملة التركية الموجهة إلى مهاجمة قناة السويس من إتمام فتح مصر ، وكان هذا المشروع جدياً لدرجة أن نظر إلى الناحية السياسية التى ستنتج عنه وهى قيام ثورات الارمن ووسط قبائل النصيرية والاسماعيلية وتحريك كل ما يؤدى إلى انحلال الحكم التركى ، وقد عرض كل ذلك بموافقة الأميرالية البريطانية على مجلس الوزراء ، ولكن كتشنر عاد أمام أسباب عسكرية وسياسية إلى التمسك بضرورة حماية قناة السويس والوقوف موقفاً دفاعياً سلبياً والاكتفاء بتشديد الرقابة والحصار على شواطىء سوريا بأكملها ، وبادرت القيادة

(١) Official History of the War - Military Operations

البريطانية بإرسال الفرق البريطانية والهندية التي صدت هجوم جمال باشا على مصر في فبراير سنة ١٩١٥ .

ثم عادت حملة خليج الاسكندرونة إلى الظهور مرة أخرى ، وكان ذلك في نهاية عام ١٩١٥ حينما فشلت بريطانيا في حرب الدردنيل وقررت إخلاء شبه الجزيرة وسحب جنودها منها فقد جاء كتشنر بصفته وزيراً للحربية إلى ميادين القتال في غاليبولي ومصر ولمس بنفسه سوء الحالة العسكرية قبل الإخلاء، وما تحمله من تطورات ومفاجآت وأشار إلى رد الفعل الذي قد يحدث بعد فشل حملة الدردنيل في العالم الإسلامي وإلى وجود عدد من الفرق التركية المدربة على أصول القتال الحديث بعد اشتباكها في معارك الدردنيل ، ثم نظر إلى أن دخول بلغاريا الحرب قد فتح الطريق بين تركيا وألمانيا وأصبح تدفق الأسلحة والعتاد ممكناً ، ولذلك تجدد الخطر مرة أخرى على مصر وهي مركز الزاوية في العمليات الحربية البريطانية ... وجاء التصريح الذي ألقاه أنور باشا أمام مجلس المبعوثين وقال فيه « إن الحملة الأولى على مصر كانت عملية استكشافية تعرضية وسيعقبها حملة ثانية لاسترجاع مصر » ، لتحريك هذه المخاوف .

ولذلك ازداد قلق ماكسويل وصارح وزارة الحربية البريطانية بأن إخلاء الدردنيل سيكون شديد الوطأة على المكلفين بحماية مصر وسيكون أثره بعيداً من الناحيتين السياسية والعسكرية إن لم تبادر بريطانيا بتوجيه ضربة عاجلة إلى الدولة العثمانية . وعاد ليعزز اقتراح كتشنر بضرورة إنزال حملة بريطانية على خليج الاسكندرونة بل ذهب في تحمسه أن عرض على حكومته أن احتلال هذه المنطقة يجب أن يسبق عمليات الإخلاء في الدردنيل.

ورجعت وزارة الحربية إلى دراسة هذه الحملة وقدرت القوات اللازمة بمائة ألف مقاتل وأخذت القيادة العليا مع قيادة الأسطول تضمان الخطط التفصيلية ، واتفق الطرفان على مبدأ الجمع بين الشكلة السورية ومسألة الدفاع عن مصر ، وضرورة تنسيق العمليات الحربية بين قناة السويس وخليج الاسكندرونة .

وعرضت جميع الخطط في الاجتماع الحربي الذي عقده كتشنر في جزيرة مدروس ودعى إليه كبار القواد ، وكان قرارهم على ضرورة احتلال منطقة الاسكندرونة بالاجماع حتى حددت في هذا الاجتماع على الخرائط الأماكن التي اختيرت لانزال الجنود

ولكن هذا المشروع تعرض من الوجهة الفنية العسكرية لانتقاد رياسة أركان الحرب العامة للامبراطورية ، ودارت عدة مناقشات طويلة يجدها الباحث مفصلة في الكتب والوثائق الرسمية ، وفي أثناء ذلك جاءت المذكرة الفرنسية التي قدمها الكولونيل دي بانوس الملحق العسكري بسفارة فرنسا بلندرة ، وهي المذكرة التي قضت على المشروع لتعارضه مع مصالح الفرنسيين إذ جاء فيها إن أي عمل حربي في هذه المنطقة يجب أن يكون باتفاق الحكومتين لأن فرنسا لا تدافع عن مصالحها الاقتصادية فحسب ، وإنما تضع الناحية السياسية والنفوذ الأدبي قبل كل اعتبار في بلاد تمدها بواسطة الاتفاقات الدولية داخلة في مناطق نفوذها

وذهب رئيس وزارة بريطانيا إلى باريس ولما عاد أصدرت الحكومة البريطانية قراراً برفض مشروع الحملة واستبعاد فكرة احتلال خليج الاسكندرونة ، وإن بقيت كل من تركيا وألمانيا تنتظران هذه الحملة حتى نهاية الحرب العظمى وإعلان الهدنة .

ذكر هندنبرج في مذكراته أن أعباء مدة الحرب لم تكن تسمح له بقراءة التقارير التي يرفعها إليه خبراؤه العسكريون فكان يكتفي بالملخصات ولكن لفت نظره ما جاء في أحدها من أن نهاية الحرب سوف تقرر في خليج الاسكندرونة ، وذلك باستدراج العدو إلى معركة في كلس .

قال « كنت أجهل هذا الاسم ، ولهذا كان أول عمل لي هو البحث عنه وقد وجدنه اسماً لبلدة صغيرة في شمالي حلب » .

ومن الغريب أن الانتقادات التي وجهها الخبراء البريطانيون إلى مشروع كتشنر ترتكز على افتراض تجمع في هذه الناحية وقالوا إن طبيعة المنطقة بأكلها تساعد على إخفاء قوات كبيرة في أماكن مختلفة وتسهل عمليات الدفاع والمفاجأة .

إن الفكرة التي نظر إليها باستهتار القائد الألماني العظيم كانت من ضمن الأسباب الفنية التي أخرت تنفيذ هذه الحملة .

والآن وقد قامت سوريا تطالب بعودة هذه المنطقة إلى أراضيها نعرض هنا هذه الآراء على المهتمين بمستقبل الشرق وأممه إذ نستخلص منها حقيقة ثابتة هي أن الدفاع عن البحر الأبيض المتوسط سيتولاه في المستقبل أهله ، وإنه لن يقتصر على المضايق وسواحل اليونان وجزر بحر إيجه بل يرتكز على منطقة الاسكندرونة وأن الدفاع عن وادي النيل كما رأينا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدفاع عن هذه الناحية في السنوات القادمة .

أما ملاحم العروبة والاسلام على هذه الأرض فلها عودة في مقال قريب بإذن الله .

أحمد رمزي

# رثاء الأستاذ الأكبر

للاستاذ عباس محمود العقاد

عصف النعىّ بكل قلب خافق ... يوم استطار بنعى عبد الرازق
من راب سمع السامعين بخطبه ... وهو المعلّم كل علم صادق
ومن استقام على الفضيلة والتُّقى ... ورعى مع المخلوق حق الخالق
ومن ارتضى شيم الثبات لزيه ... ولرأيه ، ولكلِّ سمت لائق
ومن اتقى حسد الحسود بخير ما ... يُرجى ويُحسد من نهى وخلائق
نظرٌ كسارى النجم مؤتلق على ... أدب كأفواف الربيع العابق
بلغ المدى فى الدين والدنيا معاً ... وعلا من الأحساب ذروة شاهق
أسفاً عليه ! وكم حزين آسف ... أسفى على ذاك المحيا الرائق
ماذا عليه لو استتم بقاءه ... كتمامه فى كل وصف فائق
ذاك الذى كملت جوانب فضله ... وتناسقت فى الحسن أى تناسق

من مثل نابغة النوابغ مصطفى ... فى سابق من مجده أو لاحق
رجّاه والده الكريم لغاية ... حسنى ، فوفاها وفاء الواثق
ربّاه حِبراً للديانة فاستوى ... فى نخبة الأحبار أسبق سابق
ونماه فى حجر العبادة مسلماً ... فهدى الحجيج وحج كل منافق
وأعده للعلم فاستوفى به ... حظ العليم الفيلسوف الحاذق
وغذاه بالتبيان فانقادت له ... غرر اليراع بكل معنى شائق
وهداه للاحسان فهو وليه ... لماهد الإحسان غير مفارق
ورجاه للعلياء فاستبق الخطى ... سبق الكرام إلى المقام السامق
لا وانياً عنها ، ولا متعجلا ... فيها ، تعجّل مشفق من عائق
وكأنه وعد الأمين وفى به ... فطوى صحيفته كلمح البارق
لو لم يكن قدراً قضاه لما قضى ... كالنجم يرجع غارباً من شارق
إن المطالع لا يقر قرارها ... بعد التمام ، ولا تدوم لطارق

يا آخذاً من كل شىء صفوه ... بوركت من ذى معجزات خارق
حتى الخمول بلغت غاية حظه ... عجباً ، وأنت من العلا فى حالق
لم ألق قبلك من نبيه آمن ... من شرة الباغى وغيظ الحانق
تلك المدامع ما امتزجن بدمعة ... من كاذب فى حزنه أو ماذق
ولتلك من رضوان ربك آية ... تحدث من الأجماع أصدق ناطق
فادخل حظيرته بخير خلائق ... مرضية منه وخير علائق
ما الموت يا كشاف كل حقيقة ... إلا حقائق حُجِّبت بحقائق

# مصطفى عبد الرازق

## الشيخ الأكبر الذى فقدناه !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أيها الروح الزكى الكريم الذى حبسه الموت عن كل قلب عرفه كما يُحبس النسيم الرخىُّ عن قلب المحرور الظمآن !

أيها العقل الكبير الذى حول فى نفسه ما عرفه من هدى الدين وفلسفة الرأى الصحيح إلى حكمة الخلق الراجح واللفظ النزيه والعمل المبرور ، فلم ير فيه الناس ذلك التناقض البغيض بين حكمة القول وطيش العمل ، وعلم الدرس وجهل العيش ، بل رأوا دينه وعلمه وحكمته كماء الشجرة الطيبة يحييها ويجرى فيها عنصراً أصيلا يتحول أُباباً حياً وورقاً حريرياً ندياً وزهراً شذياً وثمراً شهياً يملأ الحواس والإدراك وحيَه وتعبيره ، لا كالماء فى شجرة الحنظل يتحول فيها إلى مر زُعاق ، أو فى دم الأفعى يتحول إلى سم مَدُوف كما يتحول العلم فى بعض العقول !

ويا أيتها الواحة المخضَلَّة الوارفة التى كانت تعيش هادئة فى مدّ الرمال الطاغية ، رمال الخيلاء العلمية المزدهاة والتقعرات الكلامية الجوفاء ، والدعاوى المريضة والمزاعم المنادية على نفسها مناداة المتاجر فى الأسواق !

ويا أيتها السكينة النفسية التى كانت تشع على من يقرب منها ألواناً من الرضى والطمأنينة ، وتدخله إلى رحاب عالم من السكون والصمت المتحدث !

ويا أيتها « القطعة الفنية » الباقية من الشرق الكريم فى وجوهه الحيية وألفاظه العفيفة وثيابه الساترة التى فيها شخصيته وأبوته ووقاره !

ويا أيتها الصوفية العقلية العملية التى تربى مُريدَها بالأدب الرفيع يتحلى به الكبير أمام الصغير فيأخذه عنه بدون قوالب ألفاظ وفلسفات ومجادلات ، بل بذلك السر الخفى الذى يعطيه الآباء الحكماء للأبناء !

ويا أيتها المكرمات التى لا حد لها كانت تبذله من جاهها ومالها وحسن إقبالها على المحتاجين إلى برها ، كأنها الينبوع الفياض فى هدوء بين قسوة الظروف وشح الأنفس !

ويا أيتها التقاليد الصالحة العارفة بما عند قومها من محامد ، فهي معتزة بها مستمسكة بعراها في آداب البيت والزي واللهجة وإن اختلف الزمان واختلت الأوضاع وطغت عوامل التحلل من الواجبات والتقاليد الكريمة على البيوت والألسنة والحرمات !

ألا أيتها المعاني والعوالم التي كانت مجسمة في هذا الجسم المهذب الحواشي الدمث الجوانب الذي كان الكمال والسمت يقيده في الحركة والالتفاتة والكلمة ... هل علمك مثلي ممن كان يعيش معك فترات يجدد فيها ذكرى والده في صورتك وروحك ويحيي الوفاء الذي كان بينكما ، إلا أن ينظر الآن من وراء الغيب إلى هذه الحفرة التي أسلموا إليها ذلك الجسم الزكي الحبيب الذي كان يحتلك أيتها المعاني ؟! وماذا يغني النظر في تلك الحفر التي مضى إليها كل من كان ويمضي إليها كل من هو كائن في أبد الآبدين ؟! ... هل يغني إلا الحسرة على الفقد وضياع ما في يد الإنسانية من تلك المعاني العزيزة النفيسة التي هيهات أن تجتمع في ذات إلا في خطفات زمنية وذوات معدودة يجود بها الزمان على بخل وشذوذ ؟ إن هذه الذوات التي تجتمع فيها هذه الخلال إنما هي الكتب الحية والكلمات المجسمة التي تفسر الأفكار والأحلام التي يقرؤها القارئون في عالم الكتب المسطورة فيظنونها مخلوقات من عالم الأطياف لا حياة لها على هذه الأرض حتى يروا النموذج في شخص حي فيصدقوا ...

وكم يرى الناس من عالم يملأ طباق الفكر علماً ، ولكنه لا يملأ الفجوة الواعية الحساسة الصادقة في النفس ! لأن علمه منفصل عن ذاته وحياته ، فهو في فكره كالشيء الملتقى في يده ، لم يجر من ذاته مجرى الدم في قلبه والرأي في عقله والخلق في سلوكه فهو حقيق ألا يرى الناس فيه قدوة تهدي أرواحهم القلقة ، وإنما ينظرون إلى علمه بإعجاب ، كإعجابهم بالشموذ أو الحاوي !

وكم رأى الناس من روحي لا يحسن الكلام ولكن يحسن السلوك والعمل وتفيض يداه بالخير وقلبه بالعطف فيكون فيه للناس علامة مشيرة أبداً إلى منطقة النجاة من لجج الوحل والدنس التي تقطع السبل على الرجل المتطهر ! فإذا اجتمع العلم والروح في شخص كان فضل الله عليه عظيماً ، فإذا كان ذلك على غنى وجاه لرجل يؤدي زكاة الغنى والجاه بالكيل الوافي كان ذلك فضلا عظيما مضاعفاً يعتبر ندرة تجمع عليها القلوب بالحمد .

أنا واثق أن كل فرد ممن اتصل بالفقيد يستطيع أن يسرد وقائع شخصية له من مكارم هذه الذات ، أدبية أو مادية ، ولذلك أقترح أن تدون هذه المكارم لتضم إلى الذخور المأثور عن أجواد العرب وساداتهم وعلماء المسلمين الأبرار ، فإن في هذا التدوين ثروة تضاف إلى عبقرية الخلق التي هي أعظم العبقريات في الإنسان على رغم ما يشاع عن عبقرية الفكر أو عبقرية الفن ، لأن عبقرية الخلق هي (فن الحياة) الذي ينمو في ظلاله الاجتماع الإنساني بما فيه من نتاج فكري وفني وعملي ، فهي عبقرية أشبه شيء بالأمومة المضحية الفادية المعطية من غير أخذ . وهي عبقرية يختص الله بها قلوب طراز من الرجال يصح أن يسمى (الرجال الأمهات) ! لشدة حبهم لنفع الإنسانية وتفانيهم في خدمتها وبرها .

أيها الروح الزكي الذي كان أباً وأخاً وصديقاً للجميع ؛ إن القوم اجتمعوا لا ليكرموا ذكراك ، فإنها عنصر من مكونات معنى الكرم ذاته في أفهام الناس في هذا المصر ... ولكنهم اجتمعوا ليكرموا أنفسهم بحديث ذكراك . ولو أرادوا أن يكرموك لأدركوا منك في حياتك كامل ما أدركوه بعد فقدك ... ولكنهم اعتادوا مع الأسف الشديد ألا يكرموا الفضائل إلا بعد موت الفاضل ... لأن انتقال الموت بفجائه وبفجعهم فيحسون أن الأرض تزول تحت أقدامهم بعد أن يتحطم قطب من أقطاب حياتهم عليها ... وكانوا يدورون حوله وهم لا يشعرون ...

فتى ترشد الأمم الشرقية فتتمتع بثمارها الناضجة التي أودع الله فيها سر النوع البشري قبل عطبها أو اختطافها ! لماذا لا ندرك منازلهم في قلوبنا إلا بعد فقدهم ، لماذا لا نسرهم في حياتهم بالاستجابة لداعية الخير في نفوسهم حتى يمضوا مطمئنين إلى بقاء الخير والبر بعدهم ؟ لماذا لا تكون الدامع قبل المراثي ؟

ما أصدق تلك الكلمة التي قالها الأول :

لا أعرفنك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادي !

وما أصدق قول الآخر :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ... ما دام حياً فإذا ما ذهب

لج به الحرص على نكتة ... يكتبها عنه بماء الذهب !

فاللهم ارشدنا وبصرنا حتى ندرك أن أعظم ثروات الأمة هم رجالها الأفذاذ في الخلق والعلم فننتفع بهم ونتمتع بعبقرياتهم ، ولا نضيعهم ثم نبكي عليهم !

روح الله روح الفقيد وأرواح أحبائه ، وأحسن العزاء فيه للجميع فإنه فقيد الجميع .

عبد المنعم خلاف

مراجعات فى الفلسفة :

# نظرية المعرفة عند شوبنهور

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

- ٢ -

وللذهن وظيفة واحدة ، وهى معرفة « العلية » . ولكن العلية تفترض الزمان والمكان مقدماً ، وتفترضهما متلازمين متحدين . إذ ليست العلية مجرد توال للأشياء فى الزمان ، وإنما هى هذا التوالى بالإشارة إلى موضع من المكان ؛ ولا هى مجرد وجود الأشياء فى المكان ، وإنما هى هذا الوجود بالإشارة إلى لحظات الزمان . إن العلية هى « حاصل ضرب المكان فى الزمان » وبهذه الوظيفة الواحدة ، أعنى معرفة العلة من المعلول ، والمعلول من العلة ، يدرك الذهن العالم الواقعى . والمعلول هنا هو تأثرات « الموضوع المباشر » أى الجسم الحيوان ، ومهمة الذهن أن يحيل هذه التأثرات — التى نمطاها مباشرة — إلى عللها الخارجية ، وبذلك يتم إدراك هذه العلل كموضوعات ممتدة فى المكان . وليست الإحالة المذكورة عملية تجريدية تصورية ، وإنما هى فعل مباشر ، فورى ، ضرورى . ولولا الذهن ووظيفته ، لما أمكن الإنسان والحيوان أن يدركا العالم المادى القائم فى المكان ، والتغير فى الزمان ، والترابط برباط العلية ، بل لكانا يشعران شعوراً « نباتياً » غامضاً بتغيرات البدن ، وأحاسيسه المتوالية ، دون أن يكون لمثل هذا التوالى دلالة مفهومة ؛ وإنما تكتسب التغيرات المتعاقبة فى « الزمان » معناها وترجع الأحاسيس مدركات حسية ، ممتدة فى « المكان » ، بفضل الذهن ، حين ينتقل من الإحساس إلى علته ، أى الموضوع الخارجى ومن هنا فالعالم المادى « لايوجد إلا بالنسبة إلى الذهن ، وبواسطة الذهن ، وفى الذهن » .

وتتدرج معرفة العلية من أبسط أشكالها ، وهو الإدراك الحسى ، أومعرفة الصلة العلية بين الموضوع المباشر [1] والموضوعات غير المباشرة المؤثرة فيه ، حتى أعلى درجات الروابط العلية القائمة بين الموضوعات غير المباشرة ، وينتظم ذلك استكشاف القوانين الطبيعية ؛ فان هذا كله من عمل الذهن والعيان ، وليس من عمل العقل والتصور ، وما المجردات فى الواقع إلا انعكاسات باهتة لعالم الحس والعيان .

* * *

ولكن إذا كان الإدراك يحصل عن طريق معرفة العلية ، فليس معنى ذلك ، فيما يرى شوبنهاور ، أن صلة الذات بالموضوع صلة علة بمعلول ؛ لأن هذه الصلة لا تقوم إلا بين الموضوع المباشر والموضوعات غير المباشرة أى بين « الموضوعات » وحدها — وليست تعدو الموضوعات إلى الذات . ومن ثم لا يجوز لنا أن نعتبر الموضوع معلولا للذات ، ولا الذات معلولة للموضوع . إن العلية هى شرط إمكان وجود « الموضوع » ، وصورته العامة ولكن الموضوع يفترض الذات مقدماً أو ضمناً ، إذ لا موضع بغير ذات تدركه ، فاذا كان ثمت موضوع ، فهناك بالضرورة ذات . وبعكس ذلك يقال ، إن الذات تتضمن وجود الموضوع فلا ذات بغير موضوع ، ولا عارف بغير معروف . وبذلك يكون ازدواج الذات والموضوع أعم صورة لعالم « الفكرة » . إنه أعم من الزمان والمكان والعلية ، لأن كل هذه الصور تتضمن النسبة إلى الذات . لا شىء فى هذا العالم إلا وهو — أولا وقبل كل اعتبار — موضوع بالنسبة إلى ذات ، أو هو « فكرة » . ومن هنا فليس للعالم المحسوس واقعية « متعالية » أو مطلقة ، ولكن هذا لاينفى واقعيته « التجريبية » ، أو النسبية . ولكل كائن مدرك أن يقول : « إن العالم فكرتى » ، وإن كان الانسان وحده قادراً على تصور هذه الحقيقة فى وعيه المروى المجرد . « وهو إن يفعل ذلك حتماً » كما يقول شوبنهاور فى أول أثره الرئيسى ،

(١) شوبنهاور يسمى الجسم الحيوانى « بالموضوع المباشر » لأننا نعرف ( أو بالأحرى نحس ) تأثراته مباشرة ، وهى كما رأينا نقطة البدء فى إدراكنا الموضوعات الحسية ، التى يصح أن تدعى — لهذا الاعتبار — موضوعات غير مباشرة للذات . على أن من الواجب أن نلاحظ أن وصفنا = البدن بالموضوع « المباشر » وصف غيردقيق لأننا قد تجوزنا فى التعبير فأسمينا مجرد الاحساس ( الذى يحدث لذة أو ألماً ، أى الذى يوجد بالنسبة إلى المعرفة فقط دون الارادة ) فكرة ، مع أنه لا يكون فكرة مدركة حقاً إلا بعد أن يعمل الزمن فيه عمله ؛ لأن الذى يدرك هو الزمن وحده ، لا الحساسية . ومعنى هذا أن البدن ، باعتباره فكرة قائمة فى المكان ، لايعرف إلا بطريق غيرمباشر ، كالشأن فى سائرالموضوعات ، وذلك بعدتطبيق قانون العلية على فعل جزء من أجزاء البدن فى جزء آخر ، كان تبصره العين أو تلمسه اليد .

« يكون قد بلغ الحكمة الفلسفية . وعندئذ يتضح له ويتيقن عنده أن مايعرفه ليس شمساً ولا أرضاً ، وإنما هو عين ترى شمساً ويد تحس أرضاً ، وأن العالم الذى يحيط به لا يوجد إلا بالنسبة إلى شىء آخر ، هو الوعى . » . وإذا كان ههنا حقيقة يمكن أن تقرر مقدماً أو « قبلياً » — أى قبل كل تجربة — فهى هذه الحقيقة ، لأنها « تعبر عن أعم صورة لكل تجربة ممكنة ومتصورة صورة هى أعم فى الزمان ، والمكان ، والعلية ، لأن هذه الصور جميعاً تفترضها مقدماً ... إن ازدواج الموضوع ، والذات هو الصورة المشتركة بين جميع أصناف الفكرات ، هو الصورة التى بمقتضاها وحدها يمكن أن تقوم أو تتصور أية فكرة ، أيّاما كان نوعها ، مجردة أو عيانية ، خالصة أو تجريبية . ما من حقيقة إذن أكثر يقيناً ، وأكثر استقلالاً عن سائر الحقائق ، وأقل حاجة إلى الدليل من هذه الحقيقة ، وهى أن كل ما يوجد بالنسبة إلى المعرفة ، وبالتالى هذا العالم كله ، فانما هو موضوع بالنسبة إلى ذات ، إدراك مدرك ، وبالإيجاز فكرة » .

الذات والموضوع إذن هما قطبا عالم الفكرة ، وشطراه الضروريان . والذات هى « ذلك الذى يعرف كل شىء ، وليس يعرفه شىء » ، وهى لذلك حاملة الظواهر ، وشرط كل مايعرف أو يمكن أن يعرف شرط العالم كله ، باعتباره فكرة . وكل منا هو هذا الحامل للعالم الظاهر ، بجباله وأنهاره ، ونجومه وأفلاكه ؛ كل منا ذات ، ولكن من حيث هو يعرف ، لا من حيث هو معروف ، أو موضوع معرفة . ذلك أننا لسنا محض عقول خالصة ، وإنما نحن أبدان أيضاً . والبدن موضوع بين الموضوعات ، وخاضع لشروط وجودها ( المكان والزمان والعلية ) ؛ ولما أن الزمان والمكان هما شرطا الكثرة أو التعدد ، فأبداننا تتعدد ؛ ولكن الذات لا تخضع لهذين الشرطين ، لأنهما يتعلقان بالموضوعات أو المعروفات فقط ولكن يفترضان الذات العارفة مقدماً ؛ ولذا فالذات لا تتعدد ؛ ولكنها ليست بعد واحدة ؛ « وإنما هى حاضرة — كاملة غير منقسمة — فى كل كائن مدرك . ولذا فأى كائن مدرك خليق بأن يكون ، مع الموضوع ، عالم الفكرة كله ، كأتم ما تكونه الملايين القائمة ؛ ولكن لو اختفى هذا الكائن الواحد ، إذن لاختفى العالم كله ، بما هو فكرة » هذان الشطران إذن مقترنان ، متضايفان ، لا سبيل إلى فصل أحدهما عن الآخر كلٌّ منهما يحدُّ صاحبه مباشرة ، فحيث يبدأ الموضوع تنتهى الذات .

ومن الممكن اعتبار الزمان والمكان والعلية ، التى تستقرّ فى وعينا قبْليّاً ، وتكون الشكول العامة للعالم الموضوعى ، الحد المشترك الذى تلتقى فيه الذات والموضوع . ولذلك نستطيع أن نكتشف هذه المبادئ إما من الموضوع ( أو بعدياً ) وإما من الذات ( أو قبلياً ) . وقد جعل شوبنهاور مبدأ السبب الكافى — كما سبق القول — التعبير العام عن جميع معارفنا القبلية الخالصة . وبمقتضاه تسود الضرورة السببية جميع أنواع الفكر أو الموضوعات . فما من موضوع إلا وهو مُعين من جهة معين من جهة أخرى . فلا شىء مستقل ، لاشىء حر ، لاشىء مطلق ؛ بل كل شىء نسبىّ ، قائم بغيره ، مفتقر إلى غيره ، موجود لأن غيره موجود . إن عالم الظواهر خاضع لقوانين ضرورية صارمة ، وكل هذه القوانين ترجع فى النهاية إلى مبدأ السبب الكافى .

وقد شرح شوبنهاور هذا المبدأ ، بأشكاله الأربعة ، فى رسالته الموسومة « بالجذر الرباعى لمبدأ السبب الكافى » ، وهى أطروحته للدكتوراه ، ومجمل القول فيه أن هناك أربعة أصناف من الموضوعات وهى « المدركات الحسية » و « التصورات » و « العيانات الخالصة » و « المشيئات » . وكل من هذه الأصناف خاضع لشكل من أشكال المبدأ المذكور ، الذى يقوّم طبيعة الموضوعات بما هى موضوعات ، أى تمثلات بالنسبة إلى الذات . فالصنف الأول يسوده مبدأ الصيرورة ( fieudi ) ، والثانى يسوده مبدأ المعرفة ( cognoscendi ) ، والثالث يسوده مبدأ الوجود ( essendi ) ، والرابع يسوده مبدأ الفعل ( ageudi ) .

( البقية فى العدد القادم ) عبد الكريم الناصرى

الأدب في سير أعلامه :

# ٩ – تولستوي

[ قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## روسيا لا تزال في الغسق

أهل على أوروبا نور القرن التاسع عشر وروسيا ما تزال في الغسق ؛ ولئن لاحت في أفقها بشائر الفجر لحظة على يد قيصرها الإسكندر الأول الذي ولى أمرها في أول أعوام هذا القرن فإنها ما لبثت أن علمت أنه الفجر الكاذب !

كان الإسكندر يريد أن يوجه همه إلى النهوض ببلاده في الداخل، وقد اعتزم أن يجنبها ويلات الحرب في الخارج ، ولكن سرعان ما فطن أن طوفان الحرب لابد مدركه فخالف انجلترة والنمسا وظاهرهما على نابليون ، ومن ثم ذهبت بشائر الفجر أباديد في حلكة الليل العابس .

وما لبث أن ساق نابليون الجيش الأعظم ليذل به روسيا ولكن حملته عليها كانت بداية نهايته ؛ ولما حمل بعد وترلو إلى سنت هيلانة، أصبح القيصر في القارة مرموق المكانة عظيم الخطر

ولكن هذا الوضع الذي هيأته الظروف لروسيا في سياسة القارة كان يتطلب رجلا غير الإسكندر ، فلقد حار هذا الرجل بين دعاة الرجعية وأنصار الحرية كما أضله زمناً تصوفه وحلمه اللذيذ الذي خيل إليه أن في الإمكان أن تجعل أوروبا تسامح المسيحية أساس العلاقات الدولية ؛ وأخيراً تغلبت عليه سياسة مترنخ، فصار من أكبر أنصار الرجعية في القارة وفي روسيا ، وفقد دعاة الحرية أملا عللوا به أنفسهم برهة على يديه .

وأخذت أوروبا تقاوم الرجعية فكانت تلوح بشائر النور مرة وتختفي مرة ، ولكنها كانت ترى كل مرة أسطع منها في سالفتها نوراً وأطول أمداً حتى ذهب الليل وانهل النور فأضاء كل ركن في القارة ومحا كل ظلمة .

ولكن ليل روسيا ظل قاتماً وآفاقها عابسة دامسة ؛ وكان يدب تحت هذا الليل نحو تسعة وأربعين مليوناً من الأنفس كلهم عبيد

ومن هؤلاء زهاء ثلاثة وعشرين مليوناً تابعون للقيصر، ومثل هذا العدد تابعون لملاك الأراضي ، وماتبقى بعد ذلك فتابعون للكنيسة أو أوزاع وخدم .

ولم يك هؤلاء الملايين يملكون من أمرهم شيئاً ، إذ كانوا في كل أمر خاضعين لمشيئة سادتهم لا ينتقلون من جهة إلى جهة غيرها ولا يمتلكون شيئاً أو يبيعونه إلا بإذن من هؤلاء السادة ؛ وهم فوق ذلك مكلفون بأن يؤدوا للسيد ما يطلب من المال كضريبة أو كمنحة وأن يعملوا مسخرين في أرضه ، وللسيد إذا باع أرضه أن يبيعهم كما تباع القطعان والسلع؛وهو ينزل بهم ما شاء من أنواع العقاب كالجلد والحبس والنفي إلى سيبيريا .

وكان السادة الأرستقراط يعيشون عيشة مترفة ، ولهم في قصورهم كل ما في الحياة الأوروبية من مظاهر النعيم ، فالموائد والحفلات الساهرة والأثاث والخدم على اختلاف أعمالهم ومراتبهم كل أولئك على النمط الأوروبي ، وأخذت العادات وآداب المجتمع الأوروبي تتغلب على عادات الروس وعرفهم في هذه البيوت الأرستوقراطية التي تجعل قياس التمدن الأخذ بأكبر قسط من كل ما هو أوروبي ، حتى اللغة فإنهم في هذا الوسط يتكلمون الفرنسية في حفلاتهم التي تجمع بين الرجال والنساء وفق الأسلوب الأوروبي ...

وانحطت الحكومة ، فلا أمانة ولا عدالة ولا إصلاح ؛ وكانت وظائف الدولة لمن يدفع من المال أكثر مما يدفع غيره ، أو لمن كان له بذوي الجاه صلة ، فأصبحت الرشوة أمراً لا غرابة فيه ، وتفشت حتى تسللت إلى الحاكم دانيها وعاليها ؛ ولم يكن للحكومة منهاج أو شبه منهاج للاصلاح ، وحسب رجالها في القاطعات أن يجمعوا لأنفسهم المال بكل ما وسعهم من حيلة أو واتاهم من بطش ...

وكان الملايين من الزراع أضعف من أن يشتكوا ؛ لهذا حملوا الآلام كما تحملها الدواب فلم يكونوا صابرين على حالهم وإنما لم تكن لهم فيه حيلة ! ولقد كانت حال هؤلاء المساكين أسوأ كثيراً من حال المزارعين في فرنسا قبل ثورتهم الكبرى ، ولكن أولئك الفرنسيين كانت بينهم طبقة امتلكت وتعلمت وتأثرت بكتابة المفكرين والفلاسفة وهي الطبقة الوسطى ، ومن بين صفوف هذه الطبقة انبعثت الشكوى ثم رجفت بعد ذلك الراجفة !

أما في روسيا فلم يكن غير كبار الملاك وهم السادة وملايين

الزراع وهم العبيد ، على أن مقاومة الاستبداد فى روسيا جاء على يد نفر من هؤلاء السادة المتملكين ، الأمر الذى يبدو عجيباً لما فيه من تناقض ؛ ولكن للمسألة وجهاً يفسر هذا التناقض ، وذلك أن هؤلاء السادة لم يكرهوا الاستبداد ولكنهم كرهوا أن تعتمد الحكومة القيصرية على طبقة الموظفين والحكام ومعظم رجالها من عنصر ألمانى وتهمل أعيان الروس رغبة فى القضاء على طموحهم نحو التسلط ، ومن ثم رحب هؤلاء بكل شكوى تنبعث ضد القيصر وحكومته .

وثمة فريق آخر يعطف أشد العطف على كل رغبة فى الإصلاح وهؤلاء هم رجال الجيش العائدون من فرنسا والقارة بعد سقوط نابليون وبخاصة الشبان ، فلقد امتلأت قلوبهم بآمال وأحلام ، وعادوا إلى روسيا آملين أن يطلع على بلادهم نور يزيح عنها هذا الغسق ، كما عاد لافاييت وأقرانه من شباب فرنسا الذين تطوعوا فى صفوف الأمريكان فى حرب استقلالهم إلى وطنهم يحملون مبادىء الثورة ويرتقبون الميلاد الجديد ...

وتسامع هؤلاء الرجال بالجمعيات السرية فى القارة كالكاربونارى فى إيطاليا والهيتيريان فى اليونان ، فأسسوا لهم فى روسيا رابطة الخير العام ، وجعلوها سرية بالضرورة ؛ وتفرع من هذه الجمعية فرع فى الشمال كانت وجهته الملكية الدستورية ، وفرع فى الجنوب كان لا يرى غير الجمهورية ؛ كما نبتت فى الجنوب جماعة سرية أخرى جعلت منهاجها ضم جميع السلاف فى اتحاد عام

ولكن هذه الجمعيات كانت كما وصفها أحد الكتاب « جيلا لا آباء له ولا أبناء » ، فظلوا لبعد أفكارهم ومبادئهم عن أذهان معاصريهم محصورين لا يكاد نطاقهم يتسع ، ولم يأتوا عملا ذا بال إلا فى سنة ١٨٢٥ فإنه لما مات الإسكندر ترك ثلاثة إخوة كان أكبرهم قسطنطين ولذلك فهو وارث الحكم ، ولكن الذى ارتقى العرش كان نيقولا بدعوى أن أخاه تنازل له عن حقه كما أراد القيصر المتوفى ؛ وأحيط ارتقاء نيقولا العرش على هذا النحو بشبهات، فانتهزت الجمعيات السرية الفرصة ورفضت فرقة جيش موسكو أن تقسم يمين الولاء للقيصر الجديد ، ووقعت بعض القلاقل فى الجنوب ، ولكن القيصر ما لبث أن تغلب على هذه الحركة فى يسر وتعرف بحركة الديسمبريين لأنها وقعت فى ديسمبر من ذلك العام ؛ وقضى بعض أفراد الجمعيات نحبهم ونفى البعض إلى سيبيريا. قال أحد زعمائهم عند إعدامه « لقد كان خطأى أنى حاولت أن أجنى الحصيد قبل أن أبذر الحب » ؛ وقال آخر « لقد عرفت من قبل أن لا أمل لنا فى النجاح كما عرفت أنه لابد أن أضحى بحياتى! إن ساعة الحصاد آتية فيما بعد » .

ولقد كان الحصاد الذى يرجون هو الحكم الدستورى والمساواة لدى القانون وتحرير الزراع ؛ ولئن قضى عليهم اليوم فلم تذهب دماؤهم عبثاً ، وما يقدم عبثاً دم هو مهر للحرية الزهراء ...

واشتدت حلكة الغسق فى عهد نيقولا الذى عرف منذ البداية بالصرامة القاسية ، وامتدت يد الطغيان إلى كل مكان ، فعلى كل ما يطبع من الكتب والصحف وما يرد منها من الخارج رقيب عتيد له من السلطان ما يمكنه من إلقاء أى شخص فى غيابة السجن أو نفيه بغير محاكمة ؛ والشباب سجناء فى روسيا لا يسمح لهم بالتعلم فى أوروبا مخافة العدوى ، ورجال الشرطة السرية يبثون عيونهم فى كل ركن ، ولا يحد سلطانهم قانون ولا عرف ؛ ولا تقل آثامهم وفظائعهم عن فظائع محاكم التفتيش الإسبانية فى العصور الوسطى إن لم تزد عنها فحشاً وهولا، والقيصر مهيمن متربع على عرشه يحسب سكون الناس رضاء وولاء أو لا يجرى فى حسابه شىء من عصيان أو ولاء ...

ونسى القيصر أو لم يدر بخلده أن الحرية يعمل لها أعداؤها وأنصارها على سواء ، فأولئك يذيقون الناس لباس الذل والخوف ليزدادوا له مقتاً ويحتالوا على النجاة منه ؛ وهؤلاء يذيقونهم الأمن والسلام ليلزمهم طمعه ويحرصوا على الدفاع عنه .

ونام القيصر بالا بما يرى من هدوء ، ولكن دوى العاصفة يسمع من خارج روسيا لا من داخلها ، فها هى ذى حرب القرم تضعه وجيشه منذ سنة ١٨٥٣ تلقاء جيوش انجلترة وفرنسا وتركيا مجتمعة ، وبتلفت القيصر باحثاً عن حماسة الروس فينقلب إليه البصر خاسئاً إذ أن كل ذى رأى فى البلاد ينقم على الجيش ضعفه ويعزو ذلك إلى ما شمل الحكومة كلها من فساد -- ويحرم الطاغية من الاحترام كما حرم من المحبة ، ويوشك أن يسمع دوياً آخر من داخل بلاده ؛ وأى دوى كان إذا مس أذنه أشد إزعاجاً له مما احتواه ذلك المخطوط الذى تداوله الناس فيما تداولوا من المخطوطات على غفلة من الرقيب والشرطة السرية . قال مؤلفه فيما قال « يقول القيصر : لقد جعلنى الله حيث أنا مهيمناً على روسيا فعليكم أن تنحنوا راكعين أمامى فإن عرشى هو كرسيه ، ولا تمنوا أنفسكم بالمصالح العامة فإنى أفكر من أجلكم وأسهر على مصالحكم

كل ساعة ؛ إن عيني الساهرة تنفذ إلى المساوىء الداخلية وإلى ما يعده لنا فى الخارج أعداؤنا ؛ وما أنا فى حاجة إلى من يشير على فإن الله يلهمنى الحكمة فانخروا إذاً أيها الروس بأنكم عبيدى واجملوا مشيئتى قانونكم .

ولقد أنصتنا معشر الروس إلى هذه الكلمات فى خشوع عميق وسلمنابها طائعين . فاذا كانت العاقبة ؟ كانت عاقبة ذلك أن دفنت المصالح الحقيقية تحت جبال من أكداس الأوراق الحكومية ، وصار يستمسك بحرفية القانون فى كل ما يصدرمنا ، بينما يترك الإهمال والجريمة بغير عقاب إذا جاءت من أعوان الحكومة ، هؤلاء الذين يتمرغون فى التراب أمام الوزراء ، ثم يسرقون فى غير حياء ... لقد باتت السرقة أمراً مألوفاً حتى أصبح أكثر الناس احتراماً أكثرهم سرقة ؛ وصارت تقرر كفايات الضباط بمجرد النظر ؛ وإذا حصل شخص على منصب قائد فإنه فى نفس الوقت يمكن عده حاكما قديراً أو مهندساً ممتازاً أو سياسياً حكيما . وإن هؤلاء الذين يختارون حكاماً فى الجملة هم طغاة حقاً يوكل إليهم عذاب الناس فى الأقاليم ؛ وكذلك تملأ المناصب الأخرى دون أقل مراعاة للاستحقاق ، فصاحب الخيل مثلا يعين رقيباً للمطبوعات ! والماجن الأحمق من حاشية القيصر يعين أميراً للبحر !... وماذا صنعنا نحن معشر الروس طوال ذلك الوقت ؟ لقد نمنا ! . أدى الفلاح ما فرض عليه وهو يئن ورهن المالك نصف ضيعته وهو يئن ، وأدينا جميعاً ما يطلب منا لرجال الحكومة ونحن نئن ؛ ولقد هززنا رؤوسنا أحياناً فى جد هامسين إن هذا عار وهوان ، كما تهامسنا أن لا عدل فى ساحات العدل ، وأن اللاعبين يقضون حياتهم عبثاً فى سبيل تمتع القيصر بسياحاته وجواسق حرسه ومبانى أبهته وسرادقاته ؛ إن كل شيء حولنا خطأ ، ومع ذلك فأنا بضمير هادىء يشاغب بعضنا بعضاً ليحظى بالتقدم خطوة ليلحق بهذه الخدمة التى نمقتها كل المقت ... فإذا صاح أحد بنا بغتة فى هذه الغفلة الشاملة أن أفيقوا وجاهدوا فى سبيل الحق وفى سبيل روسيا فما أعظم ما يبدو لنا من سخفه ، ثم إنه يتململ فى سجن مظلم فى سيبيريا أى إثم عظيم ارتكبه بمحاولته إقلاق ما يغط فيه الغافلون من العبيد من نوم عميق .

ولكننا مع هذا كله كان لنا عزاء واحد ؛ أمر يحق أن نفخر به وذلك هو قوة روسيا ، وها نحن أولاء وا أسفاه بعد تفاخرنا قد أخذنا على غرة وأحيط بنا ونحن غافلون ... أفيقى يا روسيا ! التهمك الأجانب من أعدائك وحطمتك العبودية ؛ واضطهدك واخجلاه الحمق من ذوى السلطة ومن الجواسيس ... أفيقى من نومك هذا الذى امتد فى جهل وغفلة وقفى ثابتة هادئة أمام عرش الطاغية واسأليه أن يقدم حساباً عن الكارثة القومية »

وكان رجال الحكومة يشعرون أن كثيراً من الأنظمة القائمة يومذاك إنما تقوم على ما يحسه الناس فى أنفسهم من اطمئنان إلى قوة القيصر أو قوة الدولة ، فلما سقط حصن سباستبول زلزلت القيصرية زلزالا عنيفاً ، حتى لقد تناثرت الإشاعات أن القيصر نيقولا حين قضى نحبه إنما مات منتحراً . ولقد كان حكم ذلك القيصر الذى حكم روسيا ثلاثين سنة أشبه بظلمة الليل إذ تشتد حلكته قبيل الفجر ، وكان لروسيا آخر عهدها بالظلمة ، فلما مات تنفست الصعداء ، وتلفتت تتلمس مطالع النور .

(يتبع) **الخفيف**

---

# ١ – مضحكات مبكيات

للاســـتاذ صلاح الدين المنجد

[ حديث أنقله إلى صديقي النابغة العالم الأستاذ علي الطنطاوي ] .

( صلاح الدين )

كنا أربعة نفر ، مللنا عملنا الرسمي ، فانطلقنا نسترَوح نسمات الربيع الدافئة المعطرة في غوطة دمشق ، جنة الدنيا ، وكنا نحسّ ، وقد ابتعدنا عن المدينة مجمع الشقاق والنفاق ، أننا نستطيع أن نتكلم ... فلا رقيب يحصي أنفاسنا ونظراتنا وكلماتنا وليس من يطالبنا بالنفاق باسم اللباقة والتمدن والمصانعة . فقلت لصاحبنا الفتى : لقد هان أمر اللغة والأدب بهؤلاء الذين عادوا وقد لقنوا اللغة على الأعاجم من ذوى الرطانة والمطانة ؛ لقد صادفت اليوم في طريقي طالباً في الجامعة فحدثني حديثاً أهمّني ... حدثني أن أستاذه قرأ عليه نصاً فيه « لبس ثوب الحدّاد » فقرأها « الحَدّاد » فلما قال له الطالب : إنها الحِداد يا أستاذ ! انتهره وأصر على أنها الحدّاد . ثم ساق الأستاذ على ذلك دليلا تمسك به فقال هكذا أخذناها عن المستشرق فلان ... أتعلمون من هو هذا المستشرق ؟ إنه أوسع أهل الاستشراق علماً ، وأذكاهم فهماً ، وأفصحهم لساناً . وقوله لا يرد لأنه ثقة ، ضابط ، محرر .

قلت : لقد مُسخ الزمان ، فجاء بهؤلاء المسوخ الذين يقولون هكذا أخذناها عن المستشرق فلان . ليت شعرى إذا كان الأستاذ هكذا ، فكيف يأتى التلاميذ ؟ وليت شعرى أما درى من انتقى هؤلاء ليكونوا في الجامعة أنهم يهدمون اللغة ويهتكون الادب ؟

فقاطعني صاحبي ، وقال لاتلم هؤلاء إذا أخطأوا . ولا تعجل عليهم بنقدك إذا تكبروا ... فما كبرياؤهم غير ستر لجهلهم . إنهم ليسوا بشيء ، ولو بلغوا رتبة الوزارة . فما يزال في الناس ناس يعلمون أن الفضل لأولى العلم ، لا لذوى الجهل . لقد غشهم من أوفدهم لتلقي العربية عند ذوى الرطانة ... فعادوا يغشّون الطلاب بجهل فاضح ، والناس بشهادات أزياف كواذب .

قال أكبرنا : ولكنّ هذا ليس بالأمر العجب . فهناك أعجب وأغرب ، ألم يأتكم نبأ ذلك الذى عاد من أوربة ، كما تعود هذه الجماعة الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، شغفاً بأقوال المستشرقين ، مدلهاً بمذاهبهم ، فجعل نفسه من شباب محمد ، فظنطن صحبه بعلمه وفضله ، ثم أخرج كتاباً ، فإذا هو يطعن فيه على محمد ، فيختلق ويفترى ، ويدس ويمارى ويأخذ بالنبى إلى اليمن ، ويقرئه التوراة والإنجيل ويجمعه إلى الرهبان والأحبار ثم يقول إنه ألّف القرآن .

فما أدرى ممّ أعجب ؟ أأعجب من هذا العلم الذى شداه ، أم أعجب ممن يفترى على محمد ، وهو من شباب محمد ؟

قال صاحبي : لا تلم هذا أيضاً . إنما هو بيناء لقنوه الشر فأعاده . إنما لُمْ أبويه الذين أغفلا تربيته وسددا خطواته وعرفاه من هو محمد . ليت شعرى أنطمع من المستشرقين أن يفعلوا غير هذا ؟ إنه ليكفيهم أن يغرسوا في نفوس من يلقونه من ناشئة المسلمين الشك ... الشك في الدين ، والكتاب ، واللغة ... فإذا شككت وكنت من الضعاف الإيمان ، زلّت بك القدم فهويت . لا تلم هذا ، بل لُمْ أولئك الذين لم يحسنوا تلقين الدين ، ولا تعليم التاريخ ، ولا انتقاء الأساتيذ ...

قال ثالثنا : ولكنّ عندى ما ليس عندكم . فقد حُدّثت عن واحد من هؤلاء ، هواه مع الشيوعيين ، ومعدود في المسلمين وقد أشرف على الأربعين ، إنه عاد من أوربة يحمل دراسة عن كنيسة من كنائس فرنسة ، نال بها الدكتوراه . فبلغنى من صفته أنك إذا رأيته يمشى في الطريق ، وهو يتثنى ، وأبصرته وقد نتف حاجبيه ، وصفّف شعره ، حسبت أنه عانس تلبس البنطلون . دعوه يوماً إلى المسجد الأموى ليحتفل بمولد الرسول . فنظر في بطاقة الدعوة شزراً ، ثم غمز الجرس فاستدعى كاتباً عنده . فلما أتاه قال له :

أما تزالون تنزعون نعالكم إذا دخلتم المسجد ؟

فصعق الكاتب لهذا السؤال ، وحدق بالسائل يريد أن يعلم أهو في الجد أم الهزل . فهذا سؤال لا يسأله مسلم ... فأجابه .

— نعم يا سيدى .

قال : ومتى تتمدنون ؟ لقد غبت عن دمشق تسعة أعوام كاملات

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٩٠٨ — فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا

منهاج السنة النبوية لابن تيمية : إن الله بعث رسوله (صلى الله عليه وسلم) بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم فإما أن يقال : يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يتولى غيره كما يفعله من يرى السيف فهذا رأى فاسد فإن مفسدته أعظم من مصلحته ، وقل من خرج على إمام ذى سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة ، وكابن الأشعث الذى خرج على عبد الملك بالعراق ، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة وأمثال هؤلاء . وغاية هؤلاء إما أن يغلبوا وإما أن يغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة ، فإن عبد الله بن على قتل خلقاً كثيراً وقتله أبو جعفر المنصور .

وأما أهل الحرة وابن الأشعث فهزموا وهزم أصحابهم ، فلا أقاموا ديناً ، ولا أبقوا دنيا ، والله (تعالى) لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا . وإن كان فاعل ذلك من عباد الله المتقين ومن أهل الجنة فليسوا أفضل من على وطلحة والزبير وعائشة وغيرهم ، ومع ذلك لم يحمدوا ما فعلوه من القتال وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم .

وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق ، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين والله يغفر لهم كلهم .

## ٩٠٩ — النداء من الله للعباد ومن العباد لله

الموافقات للشاطبي : إن القرآن أتى بالنداء من الله تعالى للعباد ومن العباد لله سبحانه ، فحين أتى من قبل الله للعباد جاء بحرف النداء المقتضى للبعد ثابتاً غير محذوف كقوله تعالى : [ يا عبادى الذين آمنوا ، إن أرضى واسعة ] [ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ] [ قل : يا أيها

---

وعدت فرأيتكم حيث كنتم ... متى يصبح عندنا علماء يجتهدون ، فيقلبون الدين رأساً على عقب ؟ متى ينقذوننا من خلع النعال ، وينقذوننا من الركوع والسجود ؟ لِمَ لا يفعل المسلمون فعلَ النصارى ؟ إنهم يدخلون كنائسهم بنعالهم ، لا تتسخ جواربهم ، فيقفون قليلا يرتلون ... ثم يخرجون لم يتعبوا ، ولم تتسخ سراويلهم !. لِمَ لا تنشرون هذه الدعوة .؟ آه ! سأنشرها بين طلابى بنفسى ...

وأخرس الكاتب ، وطار لبه ، وخرج ولم يُجب ، وهو يلعنه فى قلبه ألف لعنة ولعنة ... » .

وصحنا جميعاً ... أصحيح هذا ؟ أصحيح ما تقول ؟

قال : لقد شككت عند ما أخبرت ؟ ولكنى قصدتُ إلى الكاتب بنفسى فحدثنى كما أخبرت .

قلنا : وكيف يسكتُ عنه علماء الدين ؟ كيف تسكت عنه وزارة المعارف ؟ أبمثل هؤلاء نحفظ الاستقلال ؟ أنحفظه بإفساد العقائد والإلحاد والتخنث ونتف الحواجب ؟ أنحفظه بالوقاحات ؟ أهذا أستاذ قد اؤتمن على تثقيف الطلاّب ؟

قال صاحبى : لا تلم هذا أيضاً ؛ فمن عدم المروءة والدين طلب خلع النعال والتشبه بالنصارى ورفع الركوع والسجود من الصلاة . ولا تلم وزارة المعارف فهى أم الفوضى . ثم لا تلم علماء الدين ، فهم فى أمر دنياهم لاهون ، وعن دينهم ساهون . إنما لُمْ من نصبه لتثقيف التلاميذ ولم يخبروه ... آهِ لو كان هنا الطنطاوى إذن لجرد قلمه لنصرة الدين والحق والشرف . ولأصلى هؤلاء ناراً حامية تشويهم شياً .

قلت : أما قلتُ لكم لقد مُسخ الزمان فجاء هؤلاء المسوخ !

فانبرى ، رجل كان بقربنا يسمعنا ، وقال : كل ما ذكرتموه ليس بشىء ... فعندى ما هو أعظم وأدهى ...

قلنا : هاتِ ما عندك هات .

(للكلام بقية) (دمشق) صلاح الدين المنجد

الناس ، إنى رسول الله إليكم جميعاً ] فإذا أتى بالنداء من العباد إلى الله تعالى جاء من غير حرف نداء ثابت بناء على أن حرف النداء للتنبيه فى الأصل ، والله منزه عن التنبيه : [ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ] [ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ] ... فحصل من هذا التنبيه على أدبين : أحدهما ترك حرف النداء والآخر استشعار القرب، كما أن فى إثبات الحرف التنبيه على معنيين: إثبات التنبيه لمن شأنه الغفلة والإعراض والغيبة وهو العبد ، والدلالة على ارتفاع شأن المنادى وأنه منزه عن مداناة العباد، إذ هو فى دنوه عال ، وفى علوه دان ، سبحانه !

### ٩١٠ — تهنئة بعزل

الشريشى : من غرائب التكاتب فى العزل ما كتب به أحمد ابن مهران إلى معزول : بلغنى (أعزك الله) انصرافك من عملك ، فسررت بذلك ولم أستفظعه لعلمى بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه ، أو يضعك عزل عنه . والله لو لم تختر الانصراف وترد الانعزال لكان فى لطف تدبيرك وثقوب رويتك وحسن تأتيك — ما تزيل به السبب الداعى إلى عزلك والباعث على صرفك . ونحن إلى أن نهنيك بهذا الحال أولى بنا من أن نعزيك إذ أردت الصرف فأوتيته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك فى منقلبك ، وهناك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب المزيد لك فيها .

### ٩١١ — تمتع من الدنيا فإنك فانى

سعيد بن حميد[1] :

تمتع من الدنيا فإنك فانى ... وإنك فى أيدى الحوادث عانى
ولا يأتين يوم عليك وليلة ... فتخلو من شرب وعزف قيان
فإنى رأيت الدهر يلعب بالفتى ... وينقله حالين تختلفان[2]
فأما التى تمضى فأحلام نائم ... وأما التى تبقى لها فأمانى

### ٩١٢ — ... ما بعت الضيعة

شرح المقامات للشريشى : كان بالبصرة رجل ذو ضياع فأنفق ماله فى الشراب، فباع ضيعته ، فلما تم البيع قال له المشترى : تأتينى بالعشى أدفع لك المال وأشاهدك . فقال : لو كنت ممن يرى بالعشى ما بعت الضيعة . قال محمود بن الحسن الكاتب بعت دارى فأصابنى مثل هذا فقلت :

أتلفت مالى فى العقـــار ... وخرجت فيه عن عقارى
حتى إذا كتب الكتاب (م) ... وجاءنى رســل التجار
قالوا الشهـادة بالعشى (م) ... ونحن فى صــدر النهار
فأجبتهم ردوا الكتـــاب (م) ... ولا تمنــوا بانتظارى
لو كنت أظهـــر بالعشى (م) ... لمـــا سمحت ببيع دارى

### ٩١٣ — ائتمنه قوم فأدى إليهم الأمانة

تاريخ الطبرى : أحمد بن يوسف بن القاسم : سمعت ابراهيم ابن صالح يقول : كنا فى مجلس ننتظر الإذن فيه على المنصور ، فتذاكرنا الحجاج ، فمنا من حمده ، ومنا من ذمه ، فكان ممن حمده معن بن زائدة ، وممن ذمه الحسن بن زيد ، ثم أذن لنا ، فدخلنا على المنصور ، فانبرى الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ما كنت أحسبنى أبقى حتى يذكر الحجاج فى دارك وعلى بساطك فيثنى عليه ، فقال أبو جعفر : وما استنكرت من ذلك ؟ رجل استكفاه قوم فكفاهم ، والله لوددت أنى وجدت مثل الحجاج حتى استكفيه أمرى ، وأنزله أحد الحرمين . فقال له معن : يا أمير المؤمنين ، إن لك مثل الحجاج عدة لو استكفيتهم كفوك قال : ومن هم؟ كأنك تريد نفسك ؟ قال : وإن أردتها فلم أبعد من ذلك . قال : كلا لست كذلك ، إن الحجاج ائتمنه قوم فأدى إليهم الأمانة ، وإنا ائتمناك فخنتنا ...

***

معجم البلدان : ذكر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفى بسوء ، فغضب ، وقال : إنما تذكرون المساوى. أو ما تعلمون أنه أول من ضرب درهماً عليه ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) وأول من بنى مدينة بعد الصحابة فى الإسلام ، وأول من اتخذ المحامل وأن امرأة من المسلمين سبيت بالهند فنادت يا حجاجاه ! فاتصل به ذلك ، فجعل يقول : لبيك ، لبيك ، وأنفق سبعة آلاف ألف درهم حتى افتتح الهند ، واستنقذ المرأة ، وأحسن إليها ، واتخذ المناظر بينه وبين قزوين ، وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً ، وإن كان ليلا أشعلوا نيراناً فتجرد الخيل

(١) نسب الشعر فى الأمالى إليه وعزاه العسكرى فى ( ديوان المعانى ) لديك الجن . (٢) فى رواية : وتنقله حالان .

# الواعظ الضرير !..

للشيخ حسن عبد العزيز الدالى

كان ذلك منذ ثلاثة أشهر ، وكان المطر غزيراً ، والبرد قارساً وأزقة القرية مملوءة بالأوحال ، وقد لاذ أغلب الأهلين إلى دورهم طلباً للدفء ، وإذا بشيخ وقور مكفوف البصر تقوده ابنته وهى فى العاشرة من عمرها ، عليه مهابة وله جلال ، يخب فى جبته وقفطانه وقد بلل المطر ثيابه فأصبح كالقاضى الذى قيل فيه :

وسخ الثوب والعمامة والبر ذون والوجه والقفا والغلام

دخل علينا فحييناه ، وأدفأناه ، ثم قال :

شكراً ومعذرة يا سادة إذا كانت وظيفتى غير منسجمة مع حالتى ، وكان عملى شاقاً مرهقاً ، فإن كثرة العيال ، والحاجة إلى العيش تجعل الرجل يركب الصعب . وأنا مكلف برسالة دينية يجب أن أؤديها مهما كان الثمن .

أثبتونى فى دفتر ١٤ وبلغونى المسجد ... أنا واعظ المركز ...

ثم أدى رسالته وانقلب إلى أهله .

وفى هذا الأسبوع ، دخل الشيخ علينا يتفصد وجهه عرقاً وينوس برأسه من الحر ؛ فالشيخ ربع القامة ، شحيم الجسم ، وقد افتر ثغره عن بسمة لطيفة ، هى بسمة الرضاء بالقضاء ، حدثناه وحدثنا ، فكان مما قال إنه فى هذه السفرة عدم الرفيق فضل الطريق ، بعد أن نزل من السيارة العامة ، وكان لا بد من أن يجتاز الترعة التى اعترضت طريقه ، فخلع سراويله واجتازها وحمد الله على النجاة من الغرق . ثم إنه بالأمس القريب كان يؤدى رسالته فى قرية أخرى ، فأشلت الأطفال كلابها عليه ، فمزقت ثيابه وخدشت إهابه .

وفى ذات مرة نبه السائق أن ينزله أمام قرية كذا ، فأنزله خارج حدود دائرته فحمد الله وشكره على أنه لم يصب بمكروه !

يا سبحان الله ! ما هكذا يكون الاختيار يا إدارة الوعظ والإرشاد ؟ وما هكذا يكون الوضع السليم يا وزارة الداخلية !

إذا كان ولا بد أن يكون هذا العالم الجليل فى سلك الوعظ والإرشاد ، لذلاقة لسانه وقوة بيانه ، وعظيم إيمانه ، فألحقوه بمنطقة فى مدينة يطمئن فيها على نفسه ، ويستطيع أن يباشر مصلحة أهله ويأمن فيها على كرامته ، فلا يجتاز ترعة ، ولا تهره الكلاب ولا يضل الطريق ، حتى يخرج إلى دائرة أخرى ، وهناك يكفيه مؤنة هذا العناء قائد صغير لا يكلفه غير دراهم معدودة . إن ما يقوم به فضيلة الشيخ المكفوف ، من وعظ وإرشاد بالقرى فى يوم كامل يقوم به فضيلة الشيخ البصير فى نصف يوم مع الراحة التامة والكرامة الموفورة .

يا أولى الأمر : انقذوا أمثال هؤلاء المكفوفين من عناء هذا العمل ، فالميدان واسع ، والنقل سهل ، والثواب من الله عظيم ، وإن كانت الحكمة فى تعيين المكفوفين للوعظ والإرشاد أن يعظوا الرجال والنساء ، فما فى الريف نساء يجتمعن لسماع الوعظ ؛ وإن كان فمن وراء حجاب .

حبذا لو فكرت وزارة الشئون مع وزارة الداخلية تفكيراً جدياً فعممت الإذاعة بالريف ، وجعلت للوعظ نصيباً من الإذاعة كل أسبوع ، فإن ذلك يكون أجدى وأصلح وأوفر . اذهبوا مشكورين يا أولى الأمر بهؤلاء الوعاظ إلى المساجد المغلقة والمهدمة فافتحوها وشيدوها .

اذهبوا بهم إلى التدريس بالمعاهد والوعظ بالسجون العمومية والفرعية . أفسحوا لهم المجال بالمحاكم الشرعية والمحاماة : إنكم إن فعلتم ذلك فقد خطوتم بنا إلى الأمام ، وخففتم العبء عن هؤلاء المكفوفين الكرام . ولعلنا نسمع قريباً أن وزارة الشئون قد أخذت بيد أمثال فضيلة واعظ مركز طلخا المكفوف البصر وأجلسته بدار الإذاعة ليلقى محاضراته الدينية فى هدوء واطمئنان بعد أن تعمم الإذاعة بالريف . فيعم النفع ويسلم الوضع ؛ ويطمئن الشيخ ... ليت ... وليت !

حسن عبد العزيز الدالى

عمدة كفر دميرة القديم

إليهم ، فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط ، وكان قزوين ثغراً حينئذ ...

***

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى : قال — عمر بن عبد العزيز — : ما حسدت الحجاج على شىء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله

# قصائد تكريم مطران
# في الميزان

للأستاذ علي متولي صلاح

كان وفاء كريماً من أدباء العربية وعلية رجالها ، وكان ديناً استحق الوفاء والأداء لصاحبه منذ زمن سحيق ، وكان تكريماً أدنى ما ينبغي أن يكون ، وأقل ما ينبغي أن يقدم لشيخ الشعراء وأستاذهم وإمامهم ورائدهم خليل مطران .

نعم ... كان هذا التكريم — على روعته وجلاله — بعض ما ينبغي لهذا الشيخ الوقور جزاء وفاقاً لما قدم للشعر العربي من جهد كبير متواصل ، ولما قدم لشعراء العرب من مناهج وطرائق وراد لهم من مجاهل كانت محجبة مستخفية مطوية ، إلى أن تكشفت لعبقريته ، وتفتحت لوحيه ، وأشرقت على يديه ...

ولقد عرف الناس ما كان في هذه الاحتفالات التي تتالت وتعاقبت أياماً ثلاثة ، وقرأوا كل ما فيها من خطب وما أنشد فيها من شعر ، وشاهدوا حشود الناس تسعى من مصر وشقيقاتها إلى الاحتفال في نهضة كريمة ووفاء شديد ، في زمن عز فيه الوفاء وغاض ماء الخير .

ولقد كان موكباً أدبياً فذاً متفرداً ، تكلم فيه الأدباء الكبار والشعراء الكبار ، وترجموا الرجل وآثاره ترجمة وافية مستفيضة وفصلوا القول فيه وفي فنون أدبه تفصيلا ، ودرسوا آثاره جميعاً دراسة لا زيادة لمستزيد عليها ، فكان سجلا أدبياً ، وكان سفراً أدبياً رائعاً حقاً ...

ونحن نجد أن من تمام هذا السجل ومن كمال هذا السفر أن يقول النقد الأدبي فيه كلمته ، وأن يزن الميزان الأدبي محتوياته بميزانه العادل الدقيق ، فذلك أدنى إلى أن يبلغ هذا السفر غايته ، ويستوفي كماله !

ونحن — من جانبنا وعلى سوانا أن ينهض بالباقي ! — آخذون في كلمات متتابعة في وزن وعرض الشعر الذي قيل ، ووضعه في ميزان النقد الذي يعلم الله براءته من الهوى ، وخلوصه من الغرض ، وبعده عن الميل أو الانحراف عن الحق ...

ولقد أنشد في هذه الاحتفالات فحول من شعراء العرب في مصر والعراق ولبنان هم أعيان الشعر وأعلام الأدب في بلادهم ، وإن خليل مطران لقمين بأن يقول فيه هؤلاء ، عسى بتمداحهم والإطراء منهم ...

وكان أول هؤلاء الشعراء الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فألقى قصيدة مثلثة القافية — وهو نوع كان العقاد يكثر منه أيام صدر شبابه الأول — قاربت الخمسين بيتاً تضمنت وصف الأستاذ المحتفل به وصفاً دقيقاً شاملا محيطاً ألم فيه بجميع خصائصه وجميع سماته ، بل وجميع قسماته ، لم يترك دقيقة من دقائقه ، ولم يدع خلجة من خلجات نفسه ، ولا همسة من همسات قلبه ، ولا خطرة من خطرات فؤاده ... وتلك الإحاطة الشاملة ، والإفاضة الكاملة هي مزية العقاد الكبرى في كل ما يكتب وما يتناول وما يصف .

ولقد زخرت قصيدة العقاد — كالعهد به دائماً — بالمعاني البكر المستحدثة التي يزخر بها كل ما ينشيء ويكتب ويفيض بها كل ما يخرج للناس !

ولعلي لا أجد من لا يرى الجمال غاية الجمال ، والمعنى البكر غاية البكورة — إن جازت هذه العبارة ! — في قول العقاد عن مطران إنه «محراب القريض» ! وفي قوله معدداً سجاياه الكريمة :

ماذا أعدد من سجا ... ياك الحسان وهن شتى
أدباً وعرفاناً وآلا ... ء محببة وسمتا
وإذا أطلت فغاية الإ ... طراء أنك أنت أنتا

وأي طرافة وجدة واستحداث أبعد من قوله :

أنطقت بالعربية الـ ... ـفصحى معاجم شكسبير
ونقلتهم نقل الأما ... نة في الكبير وفي الصغير
بدلت في لغة اللسا ... ن ... ولم تبدل في الضمير !

ولم ينس العقاد أن يعرض في قصيدته لما خدم مطران به التمثيل والاقتصاد ، ولما سبق به من التجديد والتحرر من ربقة القديم تحرراً لطيفاً ليناً ليس بينه وبين تجديده كل الانقطاع وتمام الانفصال ، ولكنه تجديد وئيد رفيق هين يأخذ من القديم أبهاه ومن الجديد أزهاه ، ويرتشف من كل بحر قطرة ، ويقطف من كل بستان زهرة ، فيستوي للناس بعد ذلك أدباً مشرقاً رائعاً يملك عليهم ألبابهم وهواهم وعقولهم ... نعم فإن مطران كان ذلك المجدد ، وإنه بحق للحلقة المفقودة ، بل الحلقة المنشودة بين الجديدين !

(للكلام بقية) علي متولي صلاح

صحائف مطوية :

# قصة فاشـــــودة ... !

## أو قصة الاستعمار الانجليزى فى السودان

### رواية شعرية فكاهية للمغفور له حافظ ابراهيم بك

[ قصة فاشودة معروفة مشهورة ، وتتلخص فى أن بعثة فرنسية انحدرت من الحبشة إلى أعالى النيل ورفع قائدها العلم الفرنسى هناك فتصدى له حاكم السودان البريطانى بحجة أن هذه الأرض ملك لمصر ، وتحرج الموقف يوم ذاك بين فرنسا وبريطانيا حتى توقع العالم قيام الحرب بينهما لهذا السبب ، وقد استطاعت بريطانيا أن تفوز بغايتها وأن تتخذ من موقف الحكومة المصرية مطية لهذه الغاية .

وهذه الرواية من الشعر المجهول لحافظ ابراهيم فليست فى ديوانه ، ولا عرفها أحد له ، ولكنا وقفنا عليها منشورة فى إحدي المجلات عام ١٩٠١ م ، فنحن ننشرها على أنها أثر أدبى نادر يكشف عن ناحية من نواحي الشاعرية فى حافظ ابراهيم ثم لنذكر بها أبناء مصر بتاريخها بمناسبة ما يجرى من أفاعيل السياسة الانجليزية فى السودان]

محمد فهمى عبد اللطيف

تمهيد

فشـــودة روايه    للمبصرين آيه
قد مثلت في العصر    ليهتدى فى مصر
فما اهتدى ولا عقل    ولا دري كنه الحيل
بل شهـــد التمثيلا    ثم انثنى بخيلا
مولى الأكتاف    فى ساعة الإسعاف
فلا تلم فرنسا    وفضلها لا تنس
وقل لمن رام السبب    شقاء مصر قد غلب

الفصل الأول : مرشاند فى فشودة

مرشان بالنيل التقى    من بعد ما عز اللقا
تقابلا فى سلم    على الصفا الأتم
حيث المياه تجرى    نهراً بجنب نهر
والأرض بكر لم تزل    كما دحاها فى الأزل
تخرج أصناف الثمر    تنبت أجناس الزهر
تفيض بالمأكول    من عدس وفول
ترابها التبر السنى    وكم بها من معدن
وغرسها ابن يومه    « لمرشن » وقومه
فهى كما الجنـــات    ما غير خذ وهات
مرشان فيها قد ثبت    كأنه عـود نبت
يابين للمواصف    فما له من قاصف
أخرجه دلكاس    ألعوبة للنـــاس
ألعـــوبة وتنقضى    قد خاب فيها من رضى
وكيف كان العاقبه    فإن مصر الخائبه
إن لم يكن لبطرس    من طاقة بدالكس
ولاله من بورى    يسمع سالسبورى
ولاله من أمه    تنجده فى النقمه
ولاله من دولة    تمـــده بالصولة

الفصل الثاني : مرشاند والنيل

النيل كان نائما    رأى « الجبور » قائما
يضربه فى رأســـه    يحسبه فى رمسه
خاطبه يا نيـــل    يا أيها القتيـــل
يا تارك البـــلاد    لأفســد الأولاد
يا صانع المـــيراث    والصبية الأحداث
ذُبحت بالسكين    من ظالم مهين
وكان أهلك الدى    والجبل كانوا واليدا
فما صرخت صرخه    بل قد ذهبت فرخه
قد سقطت فى زير    أو وقعت فى البير
فلا تلمنى بعد ذا    إذا تعمدت الأذى
إنى أنا المحتـــامى    عنك لدى الأنام
لا بد لى من حصه    قبل ضياع الفرصه
إذ قد غدا فى النيه    أن تحفظ القضيه

فهبَّ داعى النيل   من نومه الطويل
يقول يا مرشان   يا أيهـا الشيطان
يا أسـد القفار   يا حيـة البرارى
يا سمـكا عواماً   يا طائراً حوّاماً
يا لبكة المجين   يا بـلة فى طين
يا ضجة الطبول   على طريق الغول
يا خارجاً من علبه   يا حادثاً من لعبه
يا مشكلا لما نزل   ومشكلين إن رحل
إذا أردت جدى   فأنت خير عندى
من كل ذى قلب بطل   لجنة الأرض وصل
ما كانت الشهور   يكفى لها طابور
ولا الحمام الأزرق   يعصم منه زورق
ولا الأسود السود   يصدها بارود
ولا مجاهل الثرى   تطوى كما تطوى القرى
ملكتها يا غازى   أبية المجاز
حتى ملكت مجرى   بحر الغزال طرا
تبيعه وتشترى   براية وعسكرى
لكن تعال قل لى   ولا تكن مضلى
من ذا أباحك الحمى   من ذا حباك الغنما
من ذا لهذا جرّا   من ذا عليه جرّا
بحر الغزال منى   كيف يزول عنى
وهذه فشوده   رُبَيِّبتى المهوده
كيف أساء فيها   وكيف تقتنيها
فاندفع الماجور   بسحره يدور
وقال قولا مقنعا   أثبت فيه ما ادعى
يا سيد الأنهار   وملك الديار
ماذا يهمك السقط   من بعدما الرأس سقط

## الفصل الثالث : سالسبورى ومصر

وجاء سالسبورى   لمصر فى سرور
يقول وهى تسمع   يقنعها فتقنع
يا مصر يا فتاتى   يا زينة البنات
يا مشتهى انجلترا   يا بنت أخت لندرا
يا منية التاميز   والوطن العزيز
بل يا أتان الملكة   يا ألف ألف سكه
يا ناقة السردار   وجيشه الجرار
يا أصل ما قد اكتسب   من ثروة ومن تعب
يا بلداً ما فيه   ذو ناظر يبكيه
يا أمة ولا وطن   يا منزلا لمن سكن
يا موطىء الأقدام   يا فتنة الأقوام
إنى أرى النشالا   يختلس الخلخالا
هيا نصبح السارقا   ونشهد الخلائقا
وبطرس والوزرا   يحررون القمطرا
ويثبتون فيه   تهمة سارقيه
وبعد عرض الشكوى   نقيم نحن الدعوى
ونظهر النصوصا   ونطرد اللصوصا
أو لا فقد خاب الأمل   ولا سبيل للعمل
فما أتم قوله   أن ضحكت مصر له
وأقبلت تقول   يا أيها المأمول
الوزرا عبيدكا   والكل من جنودكا
فاقض بما تشاء   لا يُنقض القضاء

## رقصة الختام

إليكم عن بطرس   نادرة فى المجلس
إذ قالت النظار :   يا من له الفخار
نرى المجال صعبا   ذئب يعض ذئبا
فهات حدث عنه   كيف خرجت منه
فقام فيهم ناصحاً   يقول قولا راجحاً
فشودة تعيش   مثل اسمها فشوش
ما الخلف والتجافى   إلا على اللحاف
دفعته للورد   وبتُّ تحت جلدى

# الأدب والفن في أسبوع

### في تكريم مطران :

تميز الأسبوع الماضي بمظهر أدبي رائع هو مظهر التقدير للأدب والإكبار للفن والتكريم للمواهب والإعجاب بالخلق القويم ، إذ اجتمع أبناء العروبة من سائر الأقطار في دار الأوبرا الملكية بعد ظهر يوم السبت الماضي لتكريم شاعر العروبة الكبير صاحب العزة خليل مطران بك . فكان جمعهم وما أبدوا فيه من جميل الرأى مظهراً من مظاهر الوفاء الطيب في عرفان الجميل للرجل الطيب .

وكل جميل يؤديه أبناء العروبة نحو مطران إنما هو وفاء للدين ورد لبعض الصنيع الذى بذله ذلك العبقرى نحو أبناء العروبة وعاش عليه طول حياته المديدة إن شاء الله ، فما حياة مطران في الواقع إلا فيضاً من المجاملة وحسن الصنيع يؤديه نحو الكبير والصغير والغنى والفقير ، وينهض بذلك في ميدان الحياة العامة ويأخذ به نفسه في النواحى الخاصة ، ويبذل لذلك من أدبه ومن خلقه ما يعد غريباً عن طبيعة البشر ، وناهيك برجل جاوز الثمانين ولا يستطيع أحد أن يحصى عليه إساءة لشخص أو موقف تخلف عن طريق الخير ، على أنه مع هذا كله ظل على تواضعه لا يمن ولا يتطاول ولا ينتفج بما أجدى في الأدب وبما أبدى في الخير ، فلا غرو إذا ما اجتمع أبناء العروبة لتكريمه وأجمعوا على تقديره ، ولا غرو إذا ما صنعوا له ما هو أكبر من التكريم والتقدير ...

### حفل حافل :

ويطول بنا القول إذا أخذنا أنفسنا بتسجيل الذين حضروا هذا الاحتفال أو شاركوا فيه ، ويكفى أن نعرف أنهم الطلائع من أعلام السياسة والقانون والأدب والصحافة والمقدرين للفن والمواهب في العالم العربى ، ولقد زاد في روعة الحفل أن توجه الفاروق حفظه الله برعايته السامية فأناب مندوباً حضر الاحتفال وأبلغ المحتفى به سابغ العطف الكريم والتحية لشخصه خاصة ولأهل الأدب والعلم عامة .

### الخطباء والشعراء :

وبعد أن ألقى الأستاذ خليل ثابت بك كلمة الافتتاح تعاقب الخطباء والشعراء في إلقاء خطبهم وقصائدهم ، فخطب أصحاب المعالى والسعادة والأساتذة عبد الرزاق السنهورى باشا وزير المعارف والدسوقى أباظه باشا وزير المواصلات ومحمد على علوبة باشا وأنطون الجميل باشا والأستاذ السراج مندوب سوريا والأستاذ زكى طليمات وألقى الشعراء قصائدهم وهم الأساتذة عباس محمود العقاد وعبد الرزاق محيى الدين بك مندوب العراق ومحمد الأسمر وشبلى ملاط بك مندوب لبنان ثم ألقيت قصيدة شكر من المحتفى به ثم عزف الأستاذ سامى الشوا مقطوعة موسيقية تحية للشاعر الكبير .

### إجماع الرأى :

وقد أجمع الخطباء والشعراء في حديثهم عن مطران على أنه شاعر سلك في الشعر العربى طريق التجديد والابتكار وأنه أستاذ المدرسة الحديثة في الشعر ، وأنه استطاع بعبقريته وباطلاعه الواسع أن يلائم بين طريقة العرب وطريقة الفرنج في براعة وتوفيق وأنه عاش طول حياته رجل فضل ونبل وخير وبر ، وقد كان هذا جماع القول فيما تكلم به خطباء الحفل وشعراؤه وإن كان لكل ما أورد من الشواهد ونهجه في تناول الحديث .

### الشعراء الثلاثة :

وكانت المناسبة بتكريم مطران مما أثار الحديث عن شوقى وحافظ ، فقد عرض الخطباء إلى ذلك الثالوث الذى عاش مندمجاً كالحلقة المفرغة حتى كانت أسماؤهم تتردد على الألسن وأشخاصهم تتوارد في كل موقف وكأنهم شخص واحد أو دعائم يتكون منها بنيان واحد ، وإذا كان خطباء الحفل قد اختلفوا في تقدير الطاقة الشعرية لكل واحد من الثلاثة فإن هذا الخلاف قد قام منذ ظهر الثلاثة على مسرح الشعر ، وسيظل قائماً إلى ما شاء الله ...

**وأخيراً :**

وأخيراً نقول : لقد أقيمت بقية الحفلات لمهرجان مطران فى أيام الأسبوع المتوالية وقد كان بودنا أن نسجل كل ما بدا فى تلك الحفلات من ألوان الأدب والفن وأن نؤدى هذا الواجب نحو الشاعر الكبير ولكن لجنة الاحتفال ضنت على « الرسالة » بأداء هذا الواجب ، لأنها آثرت للمهرجان صبغة محلية رسمية لا تلائم روح مطران ولا تتسق بحال مع شخصيته وشاعريته !

**تأبين الشيخ مصطفى عبد الرازق :**

تعددت حفلات التأبين لفقيد العلم والإسلام المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ؛ وكان أهمها وأجلها تلك الحفلة التى أقيمت فى الأسبوع المنصرم بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول حيث خدم الفقيد بعلمه وأفاد بثقافته وخرج جيلا من الأساتذة فى الأدب والفلسفة ، وقد احتشد فى هذه الحفلة جمهور كبير من رجال الدولة والأدب والصحافة وأساتذة الجامعة وطلابها وشيوخ الجامعة الأزهرية وأبنائها كاخطب فيها كثيرون كلهم من أعلام البيان وأعيان الكلام .

تكلم الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا فقال : لقد عرفت مصطفى يحكم عقله علمه ، ويحكم علمه لسانه وقلمه ...

وتكلم معالى عبد العزيز فهمى باشا فأوغل فى فلسفة الموت ذلك الشيء الغامض على العقول والأفهام ، المحير للفلاسفة والحكماء .

وتحدث سعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا فقال : لقد كان مصطفى المفكر الفيلسوف والأديب الكاتب ، لا يعرف العنف ولا يميل إلى البطش بل كان يؤمن بالحرية لأنه حر الفكر وبالتسامح لأنه طيب القلب وديع الخلق ...

وقال معالى ابراهيم دسوقى أباظه باشا : إن مصطفى كان رجل الأخلاق ، ولكن الأقدار لم تمهله ، فكانت الفجيعة فيه قاسية !

وتناول الدكتور طه حسين شخصية الشيخ مصطفى من جميع نواحيها تناول العارف فقال : إن تاريخ الأدب العربى المعاصر حين يكتب سيحتل مصطفى فى صفحاته مكاناً ممتازاً ، وسيلاحظ الذين يكتبون التاريخ الأدبى لمصطفى أنه صورة صادقة أمينة للذكرى فقد كانت حياته ذكرى قوامها الوفاء .

وتحدث الدكتور منصور فهمى باشا عن مصطفى الصديق ومصطفى العالم المتمكن والحكيم الروحى وقال : إن الناس إذا كانوا قد نعموا من الفقيد بجانب الصديق الكريم فإنهم قد انتفعوا منه كذلك بجانب الرشد العليم والموجه الحكيم ...

وتعاقب الباقون من الشعراء والخطباء فألقى الأستاذ العقاد قصيدة من شعره العميق ، وتحدث الأستاذ أمين الخولى عن الناحية الجامعية من حياة الفقيد ، ثم أنشدت قصيدة عامرة للأستاذ السيد حسن القاياتى ، ثم تحدث الدكتور محمود عزمى عما كان للفقيد من فضل فى تقريب المسافة بين اتجاهات الدين والاتجاهات العصرية فى العلوم ، ثم ألقى الأستاذ محمود غنيم قصيدة من رصين الشعر ، ثم ألقى الشيخ عبد اللطيف دراز كلمة عن نواحى الفقيد المختلفة فى ميدان العمل ، وألقى الأستاذ فؤاد شاكر رئيس تحرير جريدة أم القرى بالمملكة السعودية قصيدة جيدة ، ثم ألقى معالى الأستاذ على عبد الرازق شقيق الفقيد كلمة شكر باسم الأسرة ...

وأخلص من هذا كله لأقول لك إن حفلات التأبين عندنا لا تزال تجرى على ذلك الوضع الدارج فهى أشبه بالمناحات ، وإن الذين أبنوا الفقيد العظيم فى هذا الحفل إنما أبنوه بدموعهم وسرعان ما تجف الدموع ، فيذهب ذلك الكلام الكثير الذى قالوه ويجف وتبقى عبقرية مصطفى وشخصيته وسيرته حديث الناس ...



**تراث الأندلس :**

أرسلت حكومة إسبانيا إلى الحكومة المصرية بدعوة موجهة إلى بعض أساتذة الجامعة وطلابها للقيام برحلة علمية إلى إسبانيا يقومون فيها بالإطلاع على أصول التراث الأندلسى ، ويزورون المعالم التى كانت مسرحاً للفكر العربى حقبة طويلة من التاريخ .

ولعل إسبانيا تهدف بهذه الدعوة إلى التقرب من العرب على نحو ما تصنع انجلترا وأمريكا وروسيا وفرنسا فى هذه الأيام ، أولعلها تكون فى هذا مخلصة للعلم والبحث والتاريخ ، وعلى أى حال فمن الواجب أن نكون نحن مخلصين فى تلبية هذه الدعوة وأن ننتهز هذه الفرصة السانحة للافادة والدراسة وأن نستغلها للعلم والأدب والاطلاع على تراثنا الذى لا يزال مطموراً فى أقبية تلك البلاد ومكتباتها .

إن المعلومات التى لدينا عن التراث الأندلسى محدودة معدودة ونحن فيما نكتب عن هذا التراث نعتمد على جملة قليلة من المؤلفات العربية ابتذلت لكثرة ترديدنا لنصوصها ، ثم على ما يقدمه إلينا المستشرقون والباحثون الأجانب الذين يسافرون للبحث

والكشف عن الجديد فى ذلك التراث ، وقد ننقل عنهم خطأ الرأى وضعف الاستنتاج ، وإن من العار أن نظل قانعين بهذا وأن لا يكون لنا فى ذلك جهد يذكر ، فلعل رجال الجامعة يستغلون هذه الدعوة إلى هذه الرحلة استغلالا علمياً مفيداً ولعلها تكون مقدمة لرحلات متتابعة تؤتى ثمرها .

**المستشرق بروفنسيال أيضاً :**

نشرنا فى الرسالة من قبل أن المستشرق المعروف الأستاذ ليفى بروفنسيال قد ألقى أربع محاضرات عن الأدب الأندلسى فى كلية الطب بالإسكندرية بدعوة من جامعة فاروق الأول ، ولما كانت الظروف لم تمكننا من الاستماع لتلك المحاضرات فقد سألنا صديقاً أديباً من الذين حضروها وسمعوها فأخبرنا بأنها كانت محاضرات سطحية لا جديد فيها من الرواية أو الرأى وأنها لاتعدو المعلومات التى يتناولها الطلاب ويقدمها الأساتذة فى مصر. قال الصديق الفاضل : ومن العجيب أن جامعة فاروق قد قدرت لهذا المستشرق ستين جنيها أجراً عن كل محاضرة كما سمعت ، وقد كان فى مقدورها أن تنظم سلسلة من المحاضرات يلقيها الأساتذة المصريون فيبلغون فيها فوق مابلغ ذلك المستشرق ، ولكن يظهر أننا لا نزال مأخوذين بقدرة هؤلاء المستشرقين حتى لنبذل لهم المال من غير حساب .

هذا ماقاله الصديق ، أردنا أن نسجله والعهدة عليه فى صدق الرواية ، ونقول بهذه المناسبة إن المعهد الفرنسى فى مصر قد دعا المستشرق بروفنسيال لإلقاء ثلاث محاضرات عن الشعر الأندلسى وقد ألقى المحاضرة الأولى عن الشعر الأندلسى الفصيح ، والثانية عن الشعر الأندلسى الشعبى وعنى فى هذه المحاضرة عناية خاصة بالحديث عن ابن قزمان .

**وفاء كريم :**

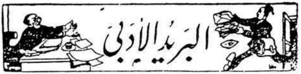
أصدر الأستاذ « الحومانى » المجاهد العربى المعروف العدد الأخير من مجلته « العروبة » خاصاً بالحديث عن المغفور له الأمير شكيب أرسلان فجاء سفراً حافلا بالمعلومات والطرائف عن حياة فقيد البيان وشرح مآثره ومظاهر جهاده فى خدمة اللغة والدين والعروبة ، وقد كان الأستاذ « الحومانى » صديقاً أثيراً عند الأمير شكيب ، وكانت له به صلات خاصة ومودات صادقة فكان من الواجب أن يتوجه إلى ذكراه بهذه التحية الطيبة ، وإذا كان مجال القول فى مجلة لا يتسع للافاضة ، فإننا نطمع أن يعمد الأستاذ الحومانى إلى جمع ذكرياته وما يعرف من خصوصيات الأمير فى كتاب يكون مرجعاً للباحثين على نحو ما صنع الأمير طيب الله ثراه نحو ذكرى شوقى بكتابه المعروف « شوقى أو صداقة أربعين عاماً »

**إسلام هرقل :**

أقام طلبة المعهد الأزهرى بالقاهرة فى الأسبوع الماضى حفلة تمثيل فى معهدهم مثلوا فيها رواية « إسلام هرقل » وهى من تأليف الطالب الأديب محمد عبد المنعم المغربى ، وقد حضر هذه الحفلة طلاب المعهد وكثيرون من أساتذتهم وشيوخهم ، وهذا خبر يسترعى النظر لأنه مظهر من مظاهر التطور فى الأزهر الحديث ، فقد أدركنا عهداً فى الأزهر كان شيوخه يختلفون فى جواز ابتداء الشعر بالبسملة ، فكان بعضهم يتسامح فى جواز ذلك ، وبعضهم يقول إنه لا يجوز لأن الشعر ليس من الأمور ذوات البال .

ولكننا عشنا حتى رأينا التمثيل يدخل الأزهر ، ويؤثره شيوخه كلون من ألوان التثقيف للطلاب .

« الجاحظ »




## قلعة مصر القاهرة :

أشكر للأستاذ محمد عبد الوهاب فايد اهتمامه وبحثه الأخير فقد اطلعت بعدد الرسالة(١) على كلمته الشائقة بشأن تحقيق الطباق بقلعة مصر القاهرة . وقوله « هذه الطباق كانت أكبر مدرسة حربية نعرفها فى التاريخ وأقدمها ، وقد تخرج منها آلاف من الضباط والقواد والأمراء بل الملوك ، ولو جمعت أخبار هذه الجامعة الحربية لجاءت فى كتاب حافل » .

ولقد أردت بكلمتى فى الأهرام أن أحقق غرضين : الأول إثارة البحث والاهتمام حول القلعة ومبانيها القديمة وأثرها فى تاريخ مصر الإسلامى العربى . والثانى : تحقيق اسم السلطان الغورى ونسبته الصحيحة فقد رأينا بعض المؤرخين المتأخرين ينسبه إلى الغور بافغانستان وهو يطلق على جبال وولاية بين هراة وغزنة كما ورد فى معجم ياقوت .

أما الآن وقد انكشف غور القلعة ، فيمكن التحقق من أصل هذه النسبة أو التأكد بنص تاريخى يثبت اتصال قانصوه الغورى بالغور فى مستهل حياته .

ويهمنا جميعا الاهتمام بالقلعة ومبانيها وما تحويه من آثار لأنها فى الواقع أكبر أثر قوى لمصر الإسلامية ثم ولذلك يتحتم علينا المحافظة عليها من عهد إنشائها إلى اليوم فلا يطغى عصر على عصر بل يحتفظ برونقها القديم كاملا كما كانت فى أبهى عصورها .

والذى أتمناه هو أن تسلم القلعة بأكملها إلى عهدة مصلحة الآثار الإسلامية وأن تتولاها بعنايتها بشرط أن توضع لها الوسائل الكافية حتى تتمكن من إعادة مبانيها وأبراجها إلى ما كانت عليه وأن تعيد أجزاء منها تمثل العهد الأيوبى والعهود المملوكية ثم عصور آل عثمان والعهد العلوى .

لقد آلمنى ما رأيت من قيام حائط مستحدث لم ير الموكلون بعمله سوى طغراء لأحد ملوك مصر القدماء لكى يقيموا حائطهم أمامه فأخفوا الكتابة وتكسرت أجزاء منها وهذا ما أخشى أن يتكرر .

ألا ترى وقد تمددت المعسكرات والمبانى والثكنات أننا فى حاجة إلى إخلاء القلعة من جنود الجيش وورش وزارة الدفاع حتى يخلو الجو لأهل البحث والعلم ، وحتى ندرس برامج إعادة القلعة إلى سابق مجدها .

لقد رأيت قلعة مصر وقلعة دمشق وقلعة حلب وأرسلت كلمة تحت عنوان أمجاد ثلاثة للعروبة أدعو إلى إعادة إصلاحها كما فعل الفرنسيون بقلعة الحصن أى حصن الأكراد(١) الواقع بأراضى سوريا .

أما قلعة مصر فقد كانت كرسى السلطنة فى أزهى العصور حينما كانت مصر بحق حامية الإسلام وحينما كان الناس يقولون القلعة المحروسة ومصر المحروسة وهذه القلعة ليست لمصر وحدها بل للإسلام وأم العروبة التى شاركتنا فى السابق أمجادنا وهى ليست للجيل الحاضر بل للأجيال القادمة .

وما يقال عنها يقال عن قلعة دمشق وقلعة حلب ، ولقد عمل الفرنسيون عملا هائلا فى قلعة ببلادنا هى قلعة الحصن ، وكان غرضهم أن يثبتوا الأصل الصليبى فى مبانيها و[illegible] وجهة نظرهم ، فهل تعجز الدول العربية أن تبرهن مرة واحدة على أنها أقدر من هؤلاء فى إعادة الآثار الإسلامية إلى سابق عهدها ؟ وتعمل عملا يشبه أو يقرب من عمل فرنسا ؟

إننا لا نزال ننتظر ونؤمل ! وأول عمل ننتظره هو إصلاح القلاع الثلاث ، فهل يطول أملنا ؟

أحمد رمزى

## فى تكريم الأستاذ خليل مطران بك :

شهدت حفل التكريم الذى أقيم للشاعر العظيم خليل مطران بدار الأوبرا الملكية فى أمسية من أماسى هذا الأسبوع ، وحين أنشد الشعراء قصائدهم قلت : أين شاعر الشام فيشنفنى هذه العشية بلسانه ويسحر ببيانه ، وتلفت فلم أجد من صوب بلادى وجه شاعر وكانت تحتهم تهتز المنابر فى مصر أيام الحفول السوالف فى

(١) عدد ٧١٣ بتاريخ ٣ مارس سنة ١٩٤٧ .

(١) جريدة المصرى فى ١٧ أكتوبر ١٩٤٤ .

تكريم شوقي وحافظ ، وتساءلت أين شفيق جبري الذى قرأه المصريون ناثراً ولم يسمعوه إلى اليوم شاعراً ، ورباع الشام طالعات بأزاهيره ودارات العراق عارفات بفيض خواطره ، وأين فحل الشعراء محمد البزم فيرد بضفاف النيل لشعر المصر أراد ماضيه التشبيب فى ديباجة جرير والأخطل ، وما خبر النابغة الملهم عمر أبى ريشة الذى تردد شعره هواتف عبقر فيملك الألباب ويلعب بالشعور ، وهل حالت الحوائل دون بدوى الجبل الذى سحر طه حسين فى مهرجان المعرى فقال له أدبب المصر هذا سحر وليس بشعر .

بل أين شعراء الشباب وفيهم أمجد الطرابلسى الذى تطامن له الشعر على ريق العمر ، وسليم الزركلى شاعر ميسلون بدماها وجلق ورباها ، وأنور العطار وشعره المعطار ، وجميل سلطان ذو الروعة والألحان ، أين كل هؤلاء ، أما كان فى مكنة سورية أن ترسل واحداً منهم لينشد قصيدة فى تكريم شاعر الأمة العربية؟ ومن سواهم أجدر بالإنشاد فى حفله إشادة بمجده ، واعترافاً بفضله

ولقد شهدت الحفل الكريم خالياً من صوت المرأة التى تعتز بشاعرية الخليل وكان لها خير نصير ، وقد شاء حفظه الله أن يشجعنى بكلمة منه حين لقينى بباب الأوبرا تلك العشية فقال لى :

« ... إنما أرجو من الله أن يفسح فى أجلى حتى أشهد تكريمك وأقول فيه كلمتى » فجللنى قوله بالخجل وكانت كلمته الكريمة باعثة امتنى على لجنة الاحتفال التى نسيت المرأة فى منهاجها الطويل .

فيا شاعرى الذى أنبته مهد الشعر فى فردوس لبنان زهرة إلهية ، ليكون خير هدية لوادى النيل ، اعترافاً بالجميل ، إنك خالد خلود الأهرام ، ففى شعرك رواسم التجديد ، وفى بيانك مياسم التخليد ، لك تحياتى الطيبات .

(القاهرة) وداد سكاكينى

## أى القولين أصدق ؟ :

احتفلت البلاد العربية بتكريم الشاعر خليل مطران بك وتسابق الشعراء والخطباء والكتاب إلى الإشادة برائع شعره والتنويه بعظيم قدره .

ولقد كان من خير ماقيل فى هذا التكريم تحية طيبة أرسلها الدكتور طه حسين بك على صفحات جريدة الأهرام[1] خاطب فيها صديقه بقوله : « إنك لتعرف مكانك فى قلبى ومنزلتك فى نفسى وتعرف إعجابى بخلقك العظيم وإكبارى لأدبك الرفيع وإعلانى فى كل قطر زرته من أقطار الأرض فى الشرق والغرب وإلى كل متحدث تحدثت إليه فى الشعر من الشرقيين والغربيين أنك زعيم الشعر العربى المعاصر وأستاذ الشعراء العرب المعاصرين . لايستثنى منهم أحد ولا يفرق منهم بين المقلدين والمجددين . وإنما أسميهم جميعاً بأسمائهم غير متحفظ ولا متردد ولا ملجلج ولا مجمجم ، وإنما هو اللفظ الصريح أرسله واضحاً جلياً لاالتواء فيه ولاغموض علمت المقلدين كيف يرتقون بتقليدهم ... وعلمت المجددين كيف ينزهون أنفسهم عن الغلو ... وعلمت أولئك وهؤلاء أن الفن حر ... كريم ... نشيط ... أنت حميت حافظاً من أن يسرف فى المحافظة ... وحميت شوقى ... من أن يسرف فى التجديد ... وأنت رسمت للمعاصرين من الشعراء هذه الطريق الوسطى التى تمسك على الأدب العربى شخصيته الخالدة وتتيح له أن يسلك سبيله إلى الرقى والكمال ، وقد حاولوا أن يتبعوك فى هذه الطريق فطار بعضهم بجناح واستسلم بعضهم فأراح وأقمت أنت على قمة الشعر الحديث شيخاً جليلا وقوراً ... » .

هذا بعض ماقاله الدكتور طه حسين بك وهو صريح واضح فى أن مطراناً هو زعيم الشعراء فى العصر الحديث بلا استثناء ، وأنه أستاذهم جميعاً — حتى حافظ وشوقى — !

ولكنا قد سمعنا الدكتور طه حسين بك نفسه منذ ثلاث عشرة سنة يقف فى حفل تكريم العقاد الذى أقيم فى سنة ١٩٣٤ ويقول : —

« إن العقاد هو الصورة الناطقة واللسان الخالد والمرآة الصافية المجلوة التى حفظت صورة مصر الناهضة وأبقتها ذخراً للأجيال القادمة ... أنا سعيد جداً ... فى أن أعلن رأيى فى صراحة وأن أقول ... إنى لا أؤمن فى هذا العصر الحديث بشاعر عربى كما أؤمن بالعقاد أنا أعرف حق المعرفة وأقدر كما ينبغى نتيجة هذه المقالة التى أعلنها سعيداً مغتبطاً ، أعلم هذا حق العلم واعلنه مقتنعاً به محتملا تبعاته » .

(١) جريدة الأهرام ١٩٤٧/٣/٣٠

وإنى « أؤمن به وحده ... لأننى أجد عند العقاد ما لا أجده عند غيره من الشعراء ... وأكبر العقاد وأؤمن به وحده دون غيره من الشعراء فى هذا العصر ... لأنه يصور لى هذا المثل الأعلى فى الشعر ... هذا المثل الأعلى الذى يجمع بين جمال الشعر العربى القديم وبين أمل المصرى الحديث ... » .

وختم قوله الذى استغرق صفحتين من جريدة الجهاد[1] بهذه الصيحة « ضموا لواء الشعر فى يد العقاد وقولوا للأدباء الشعراء، أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه » .

هتاف يحيى أمير الشعراء !

هذا هو حكم الدكتور طه حسين بك - بالأمس - فى زعامة الشعر فى العصر الحديث ، وذلك قضاؤه الذى قضى به اليوم نعرضهما أمام الأدباء جميعاً ليروا رأيهم فيهما .

(المنصورة) محمود أبو ريه

## الى الأستاذ محمود بك تيمور :

أنت تبكى آه ما أقسى الدموع — حينما تنساب يا محمود منكا

لا تلم دمعى ففى جمر الضلوع — قلبى الباكى أبى يسأل عنكا

كنت بالأمس تدارى الحزنا — فى وليد راح فى عمر الورود

وأراك اليوم تبكى شجنا — روح إسماعيل فى ساح الخلود

نحن نبكى من مغنى . . والدمع صدق

أترى تنسى ؟ وقد عز الفداء

أأعزيك ؟ أجل فالموت حق — ومصير الكون والدنيا فناء

عبد القادر محمود

## مكتبة لوزارة العدل السورية :

رصدت وزارة العدل السورية مبلغاً كبيراً من المال لشراء ماجد فى مصر فى هذه السنين من الكتب الشرعية والحقوقية والمالية وإمداد مكتبة الوزارة ومكتبات المحاكم بها وكلفت الأستاذ سامى بك المظم مفتش العدلية العام الموجود فى مصر الآن بالإشراف على انتقائها وشرائها .

[1] جريدة الجهاد ٢٩ أبريل سنة ١٩٣٤ .

## كتاب « أبو هريرة » :

نشرت مجلتكم الغراء « الرسالة » — فى عددها ٧١٥ — كلمة للأستاذ الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدى حول كتابى « أبو هريرة » فأبرأنه مما نال منى ولم أنعقبه فيما أفرط فيه من التمويه والمغالطة .

ولكن البحث العلمى فرض علىّ أن أمعن فى قوله : « وقد ثبت أن هناك رواة يضعون الحديث على أبى هريرة ومنهم اسحاق بن نجيح الملطى وعثمان بن خالد العثمانى وابنه محمد وهو الذى روى عن أبى هريرة أنه دخل على رقية بنت رسول الله امرأة عثمان بن عفان وبيدها مشط . فقالت : خرج رسول الله من عندى آنفاً رجلت شعره . فقال لى : كيف تجدين أبا عبد الله – يعنى عثمان – قلت : بخير . قال أكرميه فإنه من أشبه أصحابى بى خلقاً . [قال] وهذا حديث باطل لأن رقية ماتت فى غزوة بدر وأبو هريرة إنما أسلم بعد فتح خيبر [قال] : فلنحمل هذا على أولئك الرواة ولا داعى إلى الطعن فى أبى هريرة » .

قلت : لا يمكن حمله على أولئك الرواة من وجهين .

١ – ثبوته عن أبى هريرة بالسند المتصل الصحيح وقد أخرجه وصححه الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم النيسابورى فى كتاب معرفة الصحابة أثناء ذكر وفاة رقية ودفنها فى ص ٤٨ من الجزء ٤ من المستدرك وأورده الذهبى فى تلخيصه معترفاً بصحة سنده وإنكار متنه .

١ – أمعنا فى البحث عن سند هذا الحديث فلم نجد أحداً قبل اليوم زعم أنه يروى من طريق محمد بن عثمان بن خالد . وإنما روى بسندين لا ثالث لهما أوردهما الحاكم وليس فى واحد منهما اسحاق بن نجيح الملطى ولا عثمان بن خالد ولا ابنه محمد فكيف نحمله عليهم والحال هذه يا منصفون ؟!

وليت الشيخ يدلنا على مأخذه فيما حمله على محمد بن عثمان بن خالد العثمانى إذ قال : وهو الذى روى عن أبى هريرة أنه دخل على رقية وبيدها مشط الخ ، ومتى فعله كنا له شاكرين وسدد الله من أمعن فى نقد كتابى بنصح فنبهنى إلى أخطائى محرراً للحق مجرداً من سواه .

(صور — لبنان) عبد الحسين شرف الدين

# الكتب

## نموت ولا نسلم

[ تأليف الأستاذ عباس علام ]

الأستاذ عباس علام أحد النابهين القلائل الذين أسهموا فى بناء الأدب التمثيلى والقصصى فى اللغة العربية ، لا أقصد بذلك الذين ترجموا وآثروا النقل والاقتباس ، وإنما أقصد الذين ألفوا وآثروا تصوير حياتنا الاجتماعية وما يتمثل فيها من المظاهر والميول والاتجاهات واستجابوا فى هذا إلى مواهبهم الفطرية ، وإلى غيرتهم القومية ، وإلى رغبتهم فى إصلاح الحياة الاجتماعية .

ويمتاز الأستاذ علام فى معالجة هذا الفن بالفهم الدقيق للمجتمع المصرى وما يتدافع فيه من التيارات . فهو خبير بهذا المجتمع حيث يبدو فى الشارع ، وفى المنزل ، وفى النادى ، وفى الصلات التى تقوم بين النـاس فى شتى النواحى المختلفة ، ولهذا تجده إذ يقص عليك قصة من قصصه كأنه يروى لك حادثة شاهدتها ورأيتها . ولهـذا تجده أيضاً فى تلمس نواحى هـذا المجتمع يضع إصبعه على موطن العـلة ويمثلها لعينيك حقيقة واضحة ، ويكفى له فى هـذا أنه استطاع أن يحمل الحكومة فى يوم من الأيام على إصدار القانون الذى يحقق المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق الزوجية ، وذلك تحت تأثير مسرحيته المرونة « باسم القانون » .

وهذا الـكتاب الذى نقدمه اليوم إلى القراء « نموت ولا نسلم وقصص أخرى » يشتمل على عشر قصص من وضع الأستاذ علام وتأليفه ، خمس منها فى تصوير النواحى الوطنية ، وخمس أخرى فى معالجة النواحى الاجتماعية ، وجميعها تحمل طابع كاتبها الفاضل من صفاء الروح وقرب الأسلوب وتسلسل الحوار وبراعة التصوير .

ويظهر أن عناية الأستاذ الفاضل بالقصص المسرحى قد أثرت عليه فى ذلك ، فجميع قصصه فى تسلسلها وتصويرها يمكن تحويلها إلى المسرح بأدنى جهد ، وإنك لتقرأ القصــة له فترى أشخاصاً يتحركون ويتكلمون ، وتتمثل لك صورة ناطقة لا ألفاظاً جامدة ميتة على الورق ، ولقد أحسن نجل المؤلف الفاضل إذ قام بتقديم هذه المجموعة من قصص والده إلى الطبع ، واعداً بأن يتولى طبع جميع قصصه ومسرحياته وتقديمها إلى القراء ، فإن هذا مظهر بر بالأبوة وبالأدب .

محمد فهمى عبد اللطيف

---

## المـــــــربى

### تمهيد فى التصوف وأثر الأستاذ الكامل في تربية الروح

[ تأليف الأستاذ حسن كامل الملطاوى ]

ليس من ينكر من المنصفين أن الصوفية الحقيقيين كانوا من رواد المسلمين إلى المثل العليا ، وكانوا فى قضايا الحق والخير من العمال الأقوياء الأمناء . وتلك صحائفهم فى كتب الجهاد لنشر الدين والفضيلة نضيرة مقروءة ، ومناهجهم فى تهذيب أتباعهم والتصاعد بهم فى مدارج الرقى الروحى موصلة محمودة ، وما زالت سيرهم بمـا تفضح به من إخلاص وإشراق وروحانية مناهل للواردين وذكرى للذاكرين .

بيد أنهم مُنُوا فى بعض مراحل تاريخهم بدخلاء حرموا المواهب الفكرية والروحانية والذوقية ، فتعوضوا عنها بالتكبر على الناس والاستطالة ، وجعلوا التصوف مجرد رسوم وإشارات ، وأضافوا إليه شعبذات تردها الإسلامية ويجل عنها التصوف ، شعبذات يقع أثرها فى النفس تارة مضحكا وتارة مبكيا .

وهكذا ذهبت فى أهل الحقيقة الظنون مذاهب ، ومزقتهم الأقاويل ، وتطرف بعض النـاس فرأوا التصوف الذى تهدف رسالته إلى إسعاد المجتمع مظهراً من مظاهر الهبوط الاجتماعى !

وكان الظن بالمتعلمين أن يقبلوا على التصوف ليحسنوا العمل به كما أراده السابقون ، وليُسْهموا فى كشف الضباب الذى غلّفه ، فيعود نوره إلى الإشراق فى القلوب فيملؤها سعادة وطمأنينة ، ويعود بقوته الحقيقية إلى المجتمع الإنسانى الذى مشى فيه لؤم الحياة ، والذى أشقته المـادة وبهظته الدنيات ، فينقيه جميعاً ، ويوجد عالماً مرتفعاً قدسياً ، ولـكنهم من أسف أعفَوْا أنفسهم

من الواجب ، وقنعوا بإطلاق ألسنتهم بالثلم والهدم ، بالحق وبالباطل

واليوم ، نستثنى الرجاء من الشباب المثقف إذ نرى واحداً منهم هو « الأستاذ حسن كامل الملطاوى » الذى تداولت كفايته الوظائف الطيبة ، يقدم لنا رسالته الجيدة فى التصوف . والطريف أن المؤلف على ما لديه من ألوان الغذاء الصوفى المهضوم لم تتصل دراسته ولا عمله بشىء يمت إلى التصوف بصلة ، فهو منذ عهد الطلب من المشتغلين بشؤون الاقتصاد والمال .

قال مؤلفنا فى مقدمته لرسالته : « وقد جهل بعض الناس رسالة الصوفية فعابوهم وأنكروا عليهم مسلكهم ظلما وزوراً أو جهلا وغروراً ، ولا عجب فالناس أعداء ما جهلوا ، فمن قائل إن الصوفية بدعة لا أصل لها فى الدين ، ومن قائل إن الصوفية قوم كسالى متواكلون ، ومن قائل إنهم غلاة متشددون ، وكل هذا بعيد عن الصواب ، وسأحاول إن شاء الله أن أبين فى هذه الرسالة على قصرها شيئاً من فضل هؤلاء السادة الأماثل ، ولعلى أبلغ من ذلك المراد من إعطاء الناشئة الإسلامية فكرة صحيحة عن الصوفية وما تدعو إليه وما تؤديه للإسلام من خدمات فى تربية القلوب وإصلاح الأرواح ... » .

ونستطيع أن نطمئن الأستاذ إلى أنه بلغ المأمول ، فرسالته على إيجازها تنقل إلى الأذهان والأرواح التى تجهل التصوف معانى متسامية تهزها وتبهرها وتفتحها ...

تكلم المؤلف موفقاً عن معنى الصوفية ، ومتى ، وكيف نشأت ، ومم اشتق اسمها ، وعرض لغاياتها ، ثم لخص محسناً قواعد التصوف ، واستطرد إلى إيضاح سبل الصوفية فى نشر مبادئهم ، وأوضح كيف يختار المريد شيخه ، ثم عقب بترجمة مناسبة لأستاذه ومسلكه « الشيخ عبد السلام الحلوانى » رحمه الله .

والمؤلف فى كتابته يورد عن السلف الصالح عبارات جذابة . وترجمته لشيخه تتأرج بالوفاء والحب ، وتستأهل الثناء الأوفى ، فقليل الآن من المريدين من يشكر لصنيعة أستاذه ، وقليل منهم من يسق المودة بينه وبين شيخه ، وخاصة بعد أن يذهب هذا إلى العالم البعيد : عالم الموت .

والذى يلفتنى فى ترجمة الشيخ – وهى حافلة كلها بما يجدد فى الأذهان ذكرى الأسلاف الأمجاد من الصوفية – مناقب يجب أن تكون من ألم مناقب المربين الصوفيين ... تلك هى : استغناؤه عن الناس ، وتعففه عما فى أيدى مريديه ، وتواضعه لهم ...

ولا جرم أن شيخاً لا يستوفى هذه الشمائل ، فلا يقيم الموازين لغير المال ، ويعمل تحت ستار المشيخة شحاذاً أو سلاباً ، ويلقى الناس فى ترفع شامخ ، هو أبعد ما يكون عن التصوف ، بل هو أبرز مظهر للفساد الخطير الذى دب إلى الصوفية ، والذى يضرع رجالها الصادقون إلى الله أن يهوّن ليله ويبدل منه الروحانية والسمو .

والكلمة الختامية للمؤلف التى يناجى فيها شيخه ويشيد فيها بفضله هى بما فيها من حب صاف ووفاء خالص وعواطف حارة مؤثرة صلوات على الشيخ الراحل الذى وقف على تربية الشباب عمره ، والذى كان المؤلف من أقرب خلصائه .

وليس لدى ما آخذه على الرسالة سوى أن مؤلفها بما أوتى من طبع مشرق نقى وثروة فى الثقافة الصوفية ضافية كان حقيقاً أن يطيل إمتاعنا بكتابته ، لاسيما وأن أمامه منتدحاً كبيراً للقول.

ولقد نشر المؤلف رسائل خاصة لأستاذه ، وكنت أوثر لو صفيت هذه الرسائل من بعض أشياء لا يضار الجوهر من تصفيتها ، بل لعل التصفية كانت تزيدها بروزاً وجمالاً .

***

أما بعد ، فالصوفية يطربون لهذه النفحة المباركة من المؤلف الصالح ، ويعتزون بإقبال أمثاله على خدمة الدين والتصوف ، آجره الله على ما فعل .

**لبيب السعيد**

نائب المشيخة البيومية بالدقهلية

مطبعة الرسالة